

# أرواح شريرة

تأليف: هنري جيمس

ترجمة: الشريف خاطر  
مراجعة: مختار السويضي

## المؤلف

وُلِدَ « هنري جيمس » سنة ١٨٤٣ ومات سنة ١٩١٦ .  
« وهو يعتبر من أشهر الروائيين الأمريكيين » . في شبابه  
درس القانون في جامعة « هارفارد » ولكنه كان يهوى  
الأدب وبرع فيه ووهبه حياته كلها .

وبعد أن بلغ الثلاثين انتقل إلى أوروبا وعاش في  
إنجلترا التي كان يحبها . وفي سنة ١٩١٥ تزوج  
بـ«الجنسية البريطانية تعاطفا منه مع الإنجليز أثناء الحرب  
العالمية الأولى » .

## قبل أن تبدأ القصة

ذات ليلة من ليالى أعياد الميلاد ، كنا جالسين حول المدفأة نحكي قصصا عن الأرواح ، واستمعنا الى حكاية أو حكايتين عن الأرواح الصغيرة غير المؤذية التي تظهر للناس من وقت لآخر ، لكنها لا تتدخل فى شئونهم . . .  
وسمعنا كذلك بعضا من تلك الحكايات الخفيفة عن أنواع أخرى من الأرواح الشريرة المؤذية . وقص علينا جورج حكاية من تلك الحكايات . وبعدها ساء صمت لفترة وجيزة .

علقت قائلا : اعتقد أن ذلك الشخص ، قد عاش حياة

شريرة ، وعندما مات لم تستطع روحه أن تستريح في سلام .

هوالمظني جورج قائلا : « هذا النوع من الأرواح يعود للحياة لينشر الأذى بين الناس ويتسبب في وفاتهم » .

فقال جريفيث : « لكن ليس من السهل بالنسبة لها أن تفعل ذلك . كما أنه ليس متاحا لكثير من الناس أن تتصل بالأرواح الشريرة . فلابد أن تكون انسانا ذا حساسية خاصة . ومازال لدى القليل من الناس تلك القدرة على رؤيتهم رأى العين . واعتقد أن الروح تتعنى أن تظهر في هيئة انسانية ليتعرف عليها الناس في شكلها المألوف » .

قال جورج : « ليس هذا كل شيء ، فالروح لاستطيع أن تعتمد على امكانية الكلام ، ومن ثم فهي تفصح عن رغباتها بطرق أخرى . فمن الممكن أن تظهر على هيئة شخص ، أو ربما تتسأل بهدوء خلال افكار الانسان . لكن مهما يكن الشكل الذي تظهر به الروح ، فهي تحتاج الى نوع من الترحيب الوجداني ، حتى تحقق النجاح . وبطبيعة الحال ، فإن الاعمال الخيرة هي الدفاع الاكيد

ضد أي روح شريرة ، والتي تعد بمثابة سلاح لاستطيع مقاومتها » .

وساد الصمت بيننا ثانية لفترة قصيرة . فقد كنا جميعا نفكر في قصة جورج . فقد قيل أنها حدثت حقيقة ، مما جعلنا نكتم أنفاسنا لمدة عشرين دقيقة . وقال أحدها إنه لم يسمع من قبل أبدا أن روحا شريرة ظهرت لطفل .

قال دوجلاس : « ذلك بالتأكيد يجعل الأمر أكثر سوءا لكنه حدث من قبل . قريبا يكون للأطفال بصفتهم خاصة حساسية شديدة لمثل هذا النوع من الاثارة والخطر . ولو كان الطفل يضيف على القصة تأثيرا بالغا ، وكأنه نوع من المبالغة ، فما رأيكم إذا كان هناك طفلان ٩٠٠٠ » .

أجاب واحد منا : « نقول ان طفلين بالطبع يضاعفان من المبالغة في التأثير . ونحن نريد أن نسمع حكايتهما » .  
نهض دوجلاس واقفا وظهره للمدعاة وتطلع إلينا وقال :

« لا أحد غيركم سمع هذه الحكايسة أبدا . حكاية  
مرعبة . تفوق التصور »

— « هل تقصد بذلك أنها مستحيقة ؟ »

— « أنها ليست بمثل هذه البساطة . وحقيقة أنا  
لا أستطيع أن أشرح . فسوف تجبركم على التفكير  
والتخيل . »

قصصت أحدى السيدات : « أوه ، رائع ! »

قلت : « حسن إذن ، فلنجلس وتبدأ » .

— « لا أستطيع أن أبدا . فالقصة مدونة ، وأنا لم  
أحضرها معي ، هي في درج حقل بشتقي وينبغي علي أن  
أرسل لأحضارها . لم ألق عليها نظرة منذ عدة سنوات .  
أصبنا جميعا بالاحباط عندما قال ذلك » .

فواصل كلامه : « سأكتب إلى خادمي وأبحث إليه  
بمفتاح الدرج . وبإمكانه أن يرسلها إلينا بمجرد أن  
يجدها » .

قلت : « أرجوك افعل . وسوف نستمع إلى القصة  
قبل نهاية الاجازة . » هل هي تجربة خاصة بك ؟ »

— « أوه ، كلا ، والحمد لله ! »

— « هل هي من تأليفك ؟ هل أنت الذي كتبتها ؟ »

فريت على قلبه وقال : « كلا . لكن الخوف والحب  
والآلم لهذه القصة يكمن هنا . لم أستطيع نسيانها أبدا » .

— « لكن النسخة . . . »

— « النسخة مكتوبة بحبر باهت قديم بخط غاية في  
الجمال » .

وتردد للحظة وقال : « خط امسرة . لقد ماتت منذ  
عشرين عاما . وأرسلت إلى الأوراق قبل أن تموت » .

كان جميعنا ينصت له في تلك اللحظة ، وبالطبع  
سألته أحدى السيدات عما إذا كان قد وقع في حبها .

لم يجب دوجلاس . لكنه قال : « كانت أفسانة فائنة  
للغاية ، لكنها كانت تكبرشي بعشر سنوات . كانت حربية  
أختي » .

ثم قال يهدوء : « كانت الطف انسانة عرفتها كحربية ،  
كان ذلك منذ فترة طويلة وحدثت لها هذه التجربة المرعبة ،  
قبل ذلك بفترة طويلة . كنت وقتها طالبا في الجامعة ،  
وقابلتها في بيت أختي عندما ذهبت لزيارتها في الصيف .  
كان صيفا جميلا وتمتعت فيه بشيء من الحديث معها  
والنزوات في الحديقة ١٠٠ ، أجل ، ليست بكم حاجة الى  
الضمك . فلقد أعجبت بها كثيرا جدا ، ولما ما زلت سعيدا  
حتى الآن لاهتقادي انها أعجبت بي أيضا . فلو لم تكن  
كذلك لما روت لي القصة . فهي لم تقلها لأى أحد على  
الإطلاق ، ليس لأنها قالت ذلك ، بل لأننى كنت أعرف أنها لم  
تقلها لأحد . كنت متأكدا من ذلك . وسوف تكتشفون  
السبب في ذلك بسهولة عندما تسمعون القصة » .

سألته : « أكان ذلك بسبب الأشياء التي أخافتها  
كثيرا ؟ »

نظر الى دوجلاس مباشرة وقال : « سوف تكتشف  
ذلك بسهولة » .

ثم ردد قائلا : « أنت ، ستكتشف ذلك بنفسك اذا لم  
يعمل أى إنسان آخر ؟ »

« فهمت » كانت تحب » .

ضمك ثم قال : « أنت ماهر . أجل ، كانت تحب ،  
أعنى لقد كانت تحب . اكتشفت ذلك أيضا . فلم تكن  
تستطيع أن تحكي القصة دون أن تبوح بسرها . وأنا  
عرفته ، وكانت هي تعرف أننى أعرفه ، لكن لم يتحدث  
أحد منا الى الآخر بخصوص ذلك » .

قلت : « سوف تتسلم الطرد صباح يوم الخميس » .

« أجل ، محتمل » .

« إذن ، غبعد العشاء يوم الخميس يمكنك » .

فقال دوجلاس : « سأقرأها لكم » .

سألت إحدى السيدات : « من الذى كانت تحبه ؟ »

فاجبت الن : « سنعرف ذلك من القصة » .

« آوه ، لكننى لا أستطيع انتظار القصة ! »

قال دوجلاس : « لن تكشف القصة عن ذلك ، على  
الأقل ليس بالطريقة المهددة » .

- « هذا ظلم . فهذه الطريقة الوحيدة التى افهم بها » .

وسأعلم شخص آخر : « اذن لن تقول لنا يا دوجلاس » .

- « اجل .. غدا .. الآن ينبغي ان اذهب الى الفراش . ليلة طيبة » !

وتركنا فجأة .

وما ان سمعنا خطواته على السلم ، حتى قالت السيدة جريفيث :

- « فى الحقيقة ، انا لا اعرف من الذى كانت تحبه ، لكننى اعرف انه كان يحبها .. » ؟

فقال زوجها : « لقد كانت تكبره بمشقة اعوام » .

- « ما زال ذلك سببا معقولا .. فى سنة هذه ! لكن سمته الطويل شيء لطيف جدا اليس كذلك ؟

قال جريفيث : « اريهمون عاما ! »

قلت : « غدا مساء سوف نستمتع الى المزيد عن

القصة ، وبعد ذلك نستمتع الى القصة بأكملها يوم الخميس » .

بعد ذلك القى كل منا على الآخر تحية المساء وذهبتا للفراش .

فى اليوم التالى علمت ان رسالته التى بها المفتاح ، قد اُرسلت على عنوانه فى لندن فى بريد الصباح . وتركناه وحيدا الى ما بعد العشاء ، بعد ذلك كنا مشوقين لسماع المزيد عن القصة . وكان هو على استعداد تام ليواصل تقديمه للقصة . قال ، انه لابد حقيقة من ضرورة قبول بعض الكلمات القليلة اذا كان لنا ان نفهم القصة بشكل مناسب .

قال دوجلاس : « ان النسخة الخطية التى كتبها صديقى تبدأ بعد فترة قصيرة من التمهيدات الأولية التى قمنا بها » . وينبغي عليكم ان تعرفوا بالضبط ماذا كانت هذه التمهيدات .

« كانت الابنة الصغرى من عدة بنات لأب فقير يعمل قسيسا فى الريف ، وفى سن العشرين تنتم عليها ان

تكمب قوتها بنفسها • فقررت أن تصبح مربية أطفال ،  
وسرعان ما قرات اعلانا يناسبها في أحد الجرائد اللندنية  
فكتبت اليه وتلقت ردا بدعوتها لمقابلة صاحب الاعلان في  
بيته بشارع هارلى •

« وهكذا سافرت الى لندن وتوجهت مباشرة الى  
شارع هارلى • وبهرها حجم البيت وجماله •• لكن ليس  
لهس أكثر من صاحب البيت الشاب نفسه • فلم تكن تلك  
الفتاة الريفية المرتبكة قد رأت رجلا أبدا طوال حياتها ،  
الا في أحلامها • كان مظهره رائعا جسورا ، لطيفا ، مرحا  
وعطوفا • كان شابا ، وغير متزوج :

« لكن الشيء الذي أعجبها كثيرا فيه ، هو أنه التمس  
منها أن تقبل العمل من أجل خاطره • وقال أنه سيكون في  
منتهى الامتنان لو أنها ساعدته • واعتقد أنه كان لطلبه  
هذا أثر كبير في الشجاعة التي أظهرتها فيما بعد •

« تبين لها أنه ثرى • فملابسه الفخمة ، على الأقل  
شال على ذلك ، كما أن البيت الفخم يثبت أنه ينفق مبالغ

كبيرة • لم يطلب منها أن تبقى في لندن ، بل تمنى لو أنها  
تذهب في الحال الى بيته الريفي الذي يبعد سبعين ميلا •

« أخبرها بأنه وحتى على ابن وابنة أخيه الصغيرين  
اللذين مات عنها والداهما في الهند • وصرح لها بأنه  
ليس من ذلك الصنف من الرجال ، الذي يستطيع أن يكون  
مستولا من أطفال • خاصة وأنه ليس متزوجا وليس لديه  
خبرة باحتياجاتهم ، ولا الصبر الكافي لذلك • ولاشك أن  
كل ذلك كان يسبب له ارتباكاً كبيراً ، مما جعله يقع في  
أخطاء كثيرة • لكنه كان يشعر تجاههما بعطف كبير ويبدل  
القسى ما في اسمه • ولهذا فقد أرسلهما الى بيته الريفي ،  
لأن الريف كان أنسب مكان لهما • وأرسل معهما أفضل  
من استطاع الاستعانة بهم لمرافقتهم ، بالإضافة الى  
بعض خدمه المخصوصين • وكان يزور المكان عندما تسمح  
له الظروف ليرى كيف يسير حالهما •

« الصعوبة الكبرى كانت تكمن في عدم وجود القارب  
آخرين ، كما أن أعماله الخاصة كانت تستغرق كل وقته •  
لكن منزل الريفي في « بلاى » كان أفضل وأصح مكان •



خاصة مع وجود السيدة « جروز » مديرة البيت هناك ،  
وهي سيدة ممتازة ، كانت خادمة امه من قبل . بالإضافة  
الى عدد من الناس يقومون بالماونة ، لكن بطبيعة الحال  
متكون الفتاة التي ستذهب الى هناك بمثابة مربية  
للأطفال ، هي المشرفة على كل شئون البيت .

« كان واجبها الأساس يكمن في رعاية البنات  
الصغيرة . »

وكذلك رعاية الصبي الصغير أيام الاجازات . وكان  
هذا الصبي في مدرسة نائية منذ عدة شهور . وسوف  
يعود الى البيت خلال اسبوع أو عندما تبدأ الاجازة .  
كان لدى الطفلين مربية قبل ذلك ، لكنها ماتت لسوء الحظ .  
ولقد كانت تلقى القبول والاحترام حتى وفاتها ، ومن ثم  
تربى على تلك ارسال الصبي مايلز الى مدرسة بعيدة .

« ومنذ ذلك الحين ، كانت السيدة جروز تبذل غاية  
جهدها لرعاية الطفلة الصغيرة فلورا وتعلمها آداب  
السلوك . »

وكان يوجد في « بسلامي » كذلك طبّاخ وخادمان

ويسمّان عجوز ، وحوذي لقيادة المربة ، وكانوا كلهم  
يتمتعون بالثقة والاحترام . »

عند هذا الحد توقف درجلاس طويلا ، ايتيح الفرصة  
لأحدنا ان يسأل . « ماهو سبب موت المربية السابقة ؟ »

فاجاب : « سوف يتضح ذلك من خلال القصة . »

فقلت : « لى اننى كنت مكان صديقتك ، فلا بد ان الشك  
كان ينتابنى ، وكنت سألت السيد عما اذا كانت المربية  
فى « بلاى » . »

فأكمل درجلاس ماكان يدور فى ذهنى : « ... تخاطر  
بفقدان حياتها ؟ بالطبع ، كانت تريد أن تعرف ذلك ، وسوف  
أحكى لكم هذا حاضره ولقد انتابها بعض الشكوك الطفلية  
فى ذلك الوقت . كانت شابة صغيرة وقلقة . وكانت تلك  
أول وظيفة لها . ومسئولياتها لابد أن تكون جسيمة ، ولن  
يكون لها أى رقيق فى « بلاى » . »

ترددت ثم طلبت عدة أيام لتفكر فى الأمر . ولما كان

الرتب الذى حدد لها اكبر بكثير مما توقعت ، فقد قبلت الوظيفة عندما قابلت السيد فى المرة الثانية •

قلت : « السبب واضح • فلقد وقعت فى حب ذلك الشاب الرائع • ولم تستطع رفض طلبه • »

نهض دوغلاس واتجه ناحية المدفأة • وتوقف لحظة أو لحظتين وظهره لنا ، وقال : « لقد رآته مرتين فقط • »

ـ « نعم ، لكن ذلك أروع ما فى حبها • »

فالتفت الى دوغلاس وقال : « هذا صحيح • هذا أروع ما فيه • فلقد تقدمت لثلاث أخريات للوظيفة ورفضنها ، فقد خفن من الظروف المحيطة بالعمل ، الذى بدأ بالنسبة لهن كتيبا وغريبا ، هذا بالإضافة الى أن شرطه الأساسى جعلهن يخوفن • »

ـ « وماذا كان شرطه الأساسى ؟ »

ـ « ألا تصيب له أى ازعاج على الإطلاق • فلا ينبغي أن تشكو أبدا ، أو حتى تكتب اليه بخصوص أى شيء • وأن

تواجه كل المشاكل بنفسها • وتتحمل كل المسؤولية تجاه الأطفال • • بلاى • ، تتلقى كل مائتيه من نقود من محاميه ، أى ببساطة تتركه فى حالة • ووعده أن تفعل كل ذلك • وقالت لى ، أنه فى اللحظة التى أمسك فيها يدها ليشكوها ، شعرت بأنها نالت جائزة •

سألت أحدى السيدات : « لكن هل كان ذلك كل ما حصلت عليه ؟ »

ـ « لأنها لم تره مرة ثانية • »

فألت أحدى السيدات : « أوه • »

واعتقد أن هذه كانت الكلمة الوحيدة فقط التى كان يمكن أن تصدر عن أى واحد فينا تعليقا على الموضوع حتى الليلة التالية •

فى مساء الخميس تجمعنا بعد العشاء حول المدفأة • وأتينا لدوغلاس فرصة الجلوس على أكثر المقاعد راحة • وكان يضع تحت ذراعه كتابا أحمر غير سميك ، غلافه كالح

ثم بدأ يفتحه ببطء - واستغرقت القصة عدة ليالٍ ، لكن في  
أول فرصة سئمت سألته نفس السيدة سؤالاً آخر :

— « ما عنوان القصة ، يا دوجلاس ؟ »

— « ليس هناك عنوان » .

قلت : « أوه ، بل يوجد عنوان ! »

ولم يهتم دوجلاس بملاحظتي . وبدأ يقرأ بصوت  
واضح ...

- ١ -

في اليوم التالي لزيارتي الثانية لملك البيت في شارع  
هارلى عاودتني كل شكوكي مرة ثانية ، وأحسست تماماً  
أنني أخطأت .

رحلت من لندن بنفس تلك الحالة الذهنية ، ووصلت  
إلى قرية تبعده عن « بلاي » عدة أميال ، بعد ظهر يوم دافىء  
من شهر يونيو . كانت عربة البيت في انتظارى . ورفح  
بألى مشوار الرحلة روحى المعنوية ، لأن المنطقة كانت من  
أجمل مناطق انريف ، وأحسست بتويع من الترحيب الجميم  
هناك . وعندما استدبرنا داخل الحديقة ورأيت البيت لأول  
مرة ، ذابت كل مخاوفى .

كان بيتا ذا واجهة عريضة مشرقة ، ونوافذ عريضة  
مفتوحة ، وستائر ناعمة البياض .



ورابت البيت لأول مرة ..

وكان اثنان من الضم يطلان من التوافد ، يرقبان  
العربة •

حازلت اذكر الممشب الأخضر ، ومئات الزهور ، وضجة  
عجلات العربة فوق المسر وذلك الهدوء الذى يتصف به  
المكان •

كان المشهد عظيما ولايقارن ببيتنا الفقير المتواضع •  
وعندما توقفت العربة ظهرت عند الباب امرأة بشعرها تمسك  
فى يدها طفلة صغيرة • قامت بتحيتى كما لو كنت سميدتها  
أو زائرا مهما •

عندما كنت فى شارع هارلى اخذت فكرة مقننة تماما  
عن « بلاى » ، اما الآن فقد بدت لى صورة ذلك الرجل اروع  
مما كنت اظن اول مرة •

وحقيقة فلقد استمتعت بالساعات التى تلت ذلك •  
ففلورا الصغيرة كانت بنتا مدهشة ، وشعرت باننى معطوطة  
لكى تكون تلميذة لى • • كانت اجمل طفلة رايتها فى حياتى  
واندهشت بعد ذلك عن السبب الذى جعل السيد لايشترى  
بذلك •

ومن فرط سعادتي لم استطع النوم جيدا تلك الليلة .

كانت حجرة نوعى كثيرة ، ومن أحسن الحجرات فى البيت . والسريـر نفسه كان من ذلك النوع الذى يمكن للإنسان أن يراه فى القلاع . ولأول مرة فى حياتي استطعت أن أرى نفسي من أخصم أدمى إلى قمة رأسي فى مرآة كبيرة . لقد كانت كل هذه الأشياء - غير متوقعة على الإطلاق . . . مثلما لم أكن أتوقع جمال البنت الصغيرة .

وكان من غير المتوقع أيضا أن أتوافق مع السيدة جروز منذ الوهلة الأولى . فلقد كان لدى بعض القلق تجاه علاقتي بمديرة البيت ، لكن لم يكن ينبغي أن أخصر هكذا .

كانت امرأة كبيرة ، بسيطة ، واضحة ، نظيفة وأمينـة . وبدأت فى منتهى السعادة لرؤيتي . وحقيقة ، وبعد مضي نصف ساعة ، أحسست أنها تحاول أن تخفى عدى سمادتها لرؤيتي ، فتساءلت لماذا .

أما بالنسبة للطفلة الصغيرة فلم أشعر بأي نوع من القلق تجاهها ، فلقد كان مما يسعدني حقاً ، أن أقوم

بالتدريس لها . فكرت فيها كثيراً فى تلك الليلة الأولى ، وهذا ما جعلني متيقظة بالإضافة إلى اضطرابي . كنت أنهض عدة مرات وأتجول فى أنحاء الحجرة وأطلع إلى الأثاث والستائر وابواب الأخرى التي تدل على حسن حظي . رأيت تباشير الصباح وسمعت تغاريد الطيور الأولى من خلال نافذتي المفتوحة . وقبل ذلك بفترة سمعت أصواتاً أخرى صادرة من داخل البيت ، وأصغيت مرة أخرى عسى أن تتكرر مرة ثانية . وذات مرة تعرفت على أصوات ، فقد كان صرخة طفل وأهـمة آتية من بعيد . وبعد ذلك سمعت صوت خطوات خفيفة فى ابروشة الموجودة خارج غرفتي . لكن هذه الخزعنلات لم تكن بالدرجة التي يمكن أن تزعجني فى ذلك الوقت . وأنا أذكرها فقط الآن لأن لها ارتباطاً بما حدث بعد ذلك .

لم يكن وجـبي فى . . . بلـى ، يـضمـر فى تعليم هورا بل فى العناية بها كلية . كنت غريبة فى هذا البيت ، وكانت الطفلة قلقة بعض الشيء بصبيحة الحال . لكن لسيدة جروز كانت قد اتفقت معي ، على أن تنام فلورا معي فى حجرتي

بعد هذه الليلة الأولى ، فاحسست يقينا انها سرعان  
ما تتوافق معى .

اجبت سلوك الصلة المسمرة اثناء العشاء ، ولم  
تستطع مديرة البيت ان تحفى سماعتها بدات ، وتحدثت  
بطبيعة الحال عن الطفلة بطريق غير مباشر فى وجودها ،  
لكن كنا نفهم بعضها تماما .

ـ وتلميذى الآخر .. هل يبدو مثلها ؟ هو ايضا .

ـ اوه يا لاسه ، فى الحقيقة هو كذلك . لو انك تظنين  
خيرا فى هذه ابنت ..

ثم توقفت السيدة حروز هناك وفى يدها طبق وهمى  
تبتسم :

ـ نعم ، لو اننى افعل ...

ـ سيقاطف منك السيد الصغير ا

ـ حسن ، وليسوء الحظ سرعان ما اتماطف بسرعة .  
فلقد حدث لى ذلك فى لندن .

ـ تقصدين فى شارع هارلى ، يالاسه ؟

ـ نعم !

ـ اوه يالاسه ، لست انت اول شخص يشعر بذلك نحوه  
ولن تكونى الأخيرة !

ضحكت وقالت : اوه ، انا اعرف ذلك جيدا .. متى  
سيمود الصبى الصغير الى البيت ؟

ـ بعد باكر . ستقابله العربية فى القرية .

واتفقتا على ضرورة زهابى مع فلورا المقابلة شقيقتها  
وكان ذلك هو ذاتى شيء اتفق فيه بسهولة مع السيدة  
جروز . واعتقد ان ذلك ساعدنا نحن الاثنين .

كانت خطتى فى اليوم التالى ان اعطى اصفلة فرصة  
لترقى الفضل . فطلبت منها اذا كانت ترغب ، وكنوع من  
الجميل بالنسبة لى ، ان تريتنى بنفسها البيت وما حوله .  
وكانت سماعتها بالعمة بذلك .

فارتنى البيت مكانا ومكانا ، وحجرة حجرة ، حتى  
الاماكن المشتتة منه ، وكنا اثناء ذلك نتحدث حديثا وديا .

وكانت النتيجة أننا أصبحنا أصدقاء بعد مضي نصف ساعة .

خلال جولتنا في المكان لغت نظري ثقتها في نفسها وشجاعتها . فاحيانا كنت أتردد في الدخول عند مدخل إحدى الغرف الخالية أو عند ممر مظلم ، أما هي فلم تكن تتردد أبدا . حتى عندما وصلنا إلى قمة البرج القديم المربع الذي أرميت ، كان صوتها مجلجلا وهي تقولني .

منذ اليوم الذي غادرت فيه « بلأى » لم أرجع إليه أبدا . كنت ضاربة آنذاك ، وخبرتي قليلة بالحياة . غدا إلى البيت آنذاك ضحما ورثما وإذا أهمية ، في حين أنه يبدو لي الآن بيتا ريفيا عاديا . لكن عندما كانت مرشدتي تمضي أمامي رائحة في أرجاء البيت وريحته ، فقد خيل لي ساعتها أنه قلعة رائحة . كان الأمر بمثابة رواية سقطت نائمة وأنا أقرأها .

وبعد الغداء تبدلت وجهة نظري بالنسبة لبيت « بلأى » بيتا كبيرا وغير جميل ، لكنه مريح . كأنه بمثابة سفينة ضحلة عليها نصف دسقة من المسافرين ، والغريب في الأمر أنني قائدة هذه السفينة !

- ٢ -

في وقت متأخر من مساء ذلك اليوم وصل البريد . كانت هناك ورقة صغيرة من السيد تحوي مظهروفا معلقا موجها إليه على عنوانه . كانت الورقة تقول : « هذا الخطاب المغلق من ناظر مدرسة « مايلز » ، أرجو أن تقرأيه ، وتتفاهمي معه . ولا تحبريني بأي شيء » . لا أريد أن أسمع كلمة واحدة ! »

لم افتح الخطاب إلا حين ذهبت إلى الفراش . وكتم تمنيت أن كنت تركته إلى الصباح ، لأنه أصابني بالأرق ليلة أخرى . بعد ساعة من تناول الاقطار قررت أن اتحدث مع السيدة جرون بخصوص الخطاب .

قلت : « لقد طرد مايلز من المدرسة ، ما رأيك في ذلك ؟ »

لاحظت تعبير وجهها على الفور . فربما لم تزججها  
هذه الأخبار . ثم بدا عليها كما لو انها لم تفهم الامر .  
فصالت : « لكن لا يقادر الاولاد المدرسة عند بدء الاجازة ؟ »

— أجل . . أيام الاجازات فقط . لكن مايلز لن يعود  
الى المدرسة على الاحلاق ، لقد فصل !

احمر وجهها وقالت : « لن يأخذه ثانية »

— يرفضون رفضا تاما .

امتلأت حينها بالدموع وقالت : « ما الذي فعله »

ناولتها الحطاب . لم تأخذه منى ووضعته يدها خلف  
ظهرها ومنعت راسها . وقالت :

— هذه المسائل ليست من اختصاصي يا آنسة !

صارت عندئذ انها لا تستطيع القراءة . واحمر وجهي  
بسبب غلظتي . وفتحت الحطاب لأقراه بها . لكنني لسم  
استطع فعل ذلك . وكل ما استطعت قوله : « أنا اتساءل عما  
إذا كان الأمر سيئا » .

كانت الدموع مازالت في عينيها وقالت : « هل الخطاب  
يقول ذلك يا آنسة ؟ »

— « لا توجد تفاصيل » . فالتأخر بكل بساطة بأسف لعدم  
امكان عودة مايلز الى المدرسة . وقد يحتمل معنى  
واحدا ، انه ولد مؤذى بالنسبة للاولاد الآخرين . »

التفتت الى في غضب وقالت : « سيدي مايلز مؤذى  
بالنسبة للاولاد الآخرين ؟ »

لم اكن قد رايت الولد من قبل . لكن كان هناك فيض  
من الثقة في كلماتها حتى انني صدقتها . فقلت : « أجل ،  
أجل . أنا لا أستطيع ادراك الموضوع على الاطلاق »

— بالطبع ، ان قول كلام مثل هذا في منتهى اللسوة  
والظلم . . انتظري حتى تزيينه يا آنسة . . ثم صدقي الأمر  
إذا استطعت » .

احسست لمحظتها بلصول شديد لرويته . ومن الممثل  
ان السيدة جروز أدركت ذلك ، فواصلت كلامها على الفور :  
هل تصديقين مثل هذا الكلام من فلورا ؟ تطلمسي اليها  
فقط !



قبل ذلك بعشر دقائق كنت قد تركت هلورا في حجرة الدراسة ، مشغولة بواجب الكتابة الذي أعطيتسه لها . وعندما استدرت في تلك اللحظة وجدتني تقف بباب الحجرة المفتوح ، في مواجهتنا . وبدا في عينيها كلامها تقول . « ظننت أنه من اللطيف أن أتبعك ، أما الواجب فبما كانى أن أقدم به فيما بعد » .

في نفس ذلك اليوم أخذت اتعين فرصة للمحديث مع السيدة جروز مرة ثانية . لكن كان على الانتظار حتى وقت المساء ، حين تبين لى أنها كانت تحاول أن تتجنبنى . وحدث أن قابلتها على السلم .

سألتها : « هل صحيح أنك لم تكونى تعرفين أبدا ان هایلز ولد مبني » .

— آوه ، كلا ، يا آنسة . لا أستطيع ادعاء ذلك .

— إذن هانتز تعرفينه . . .

— أجل أعرفه تماما ، يا الهى !

— تعين أنه لم يكن أبدا ولدا سيئا . .

٤٠

— لم يولد له مثيل أبدا ، يا آنسة !

وافقتني على ذلك ، وقلت : « لكن يصعبك منهما أحيانا بعض الشقاوة ، اليس كذلك ؟ ولم أعطها فرصة للإجابة فواصلت ؟ هكذا أفعل أنا ؟ لكن ليس الى حد الإساءة الى الأطفال الآخرين » .

عند ذلك ضحككت وقالت : « هل أنت خائفة من أن يكون له تأثير سييء عليك ؟ » .

وجهت الى هذا السؤال بنوع من الجسارة حتى اننى ضحككت .

ولى انيوم التالى وقبل أن ادعب لمقابلة هایلز كان لنا حديث هادئ طويل .

قلت : « بالنسبة للمربية التى كانت هنا قبلى . . ماذا كان شأنها ؟ »

— المربية الصابغة ؟ كانت شابة لطيفة . . فى مثل جمال وشبابك تقريبا ، يا آنسة .

فقلت ضاحكة : « اه ، اتمنى أن يكون جمالها وشبابها

قد ساعدنا ، اذ يبدو وانه يعجبه هنا ، ان تكون فتيتات  
جميلات !

فوافقتنى بمائلة : « اوه ، ذلك أسلوبه بالعمل ، هو  
يلعل ذلك »

لكن عندما قالت ذلك بدا انها تدمت على ما قالتها . .  
فاضالفت بسرعة : « اعنى ذلك هو أسلوبه ، أسلوب  
السيد » .

فى اللحظة التالية لم انتبه الى . ما قالته مصادفة كان  
أكثر مما كانت تريد أن تقوله . فسألتها فقط عما كنت أريد  
أن أهرله . « هل كان بينها وبين مايلز أى نوع من المتاعب »  
- لم تقل لى مطلقا .

- هل كانت اسانة حريصة ؟  
وبدت السيدة جروز وكأنها تستحث ضميرها ثم قالت :  
« أجل . . بخصوص بعض الأشياء !

- لكن ليس بخصوص كل شيء ؟  
فلتردنت مرة ثانية : « هيه ، يا أنسة . . لقد مضت بحال  
مسيلها . ولا أريد أن أقول أى شيء بخصوصها » .

- أنا حقيقة أقدر مشاعرك . لكن لايليدك أن تخبرينى  
عن شيء . . هل ماتت هنا فى « بلاى » 19

- كلا . رحلت عن هنا .

أفستست بأن لى الحق فى معرفة ما حدث للمربية  
السابقة . اعرف عما إذا كان المكان أو العمل قد تسبب فى  
مرضها ، اذ ربما يحدث لى ما حدث لها . « هل تعنين انها  
مرضت هنا وكان ينبغي ترخيصها الى بلدها ؟ »

- لم تصب باى مرض هنا ، على قدر ما رأيت ، فى هذا  
البيت . لقد رحلت عنا فى نهاية العام لتذهب الى بلدها فى  
اجازة قصيرة . ولم يكن فى ذلك شيء غير عادى وكان  
لفلورا معرفة خاصة فى ذلك الوقت ، فقامت برعاية  
الطفلين فترة غياب المربية . لكن الفتاة لم تعد أبدا . وفى  
الوقت الذى كنت أتوقع فيه حضورها وصل خطيب من  
بيدى يخبرنى فيه انها ماتت !

- وما السبب فى موتها ؟

- لم يخبرنى به اطلاقا ! . . لكن عفوا ، يا أنسة ،  
فلأبد أن أعود الى هملى الآن !

### - ٣ -

عندما وصلت إلى فندق القرية ، كان مايلز ينتظر هناك . كانت تدنو عليه مظاهر النضارة والشرف ، وذلك ما أعجبت به كثيرا جدا . تطلعت إليه فوجدته في مثل جمال شقيقته . لكن عندما تذكرت خطاب ناظر المدومة أصبت بحيرة ، بل حتى بشيء من الإهانة . لقد كانت السيدة حروز هلى صواب ، فالولد لا يستطيع أن يرتكب أخطاء جسيمة . أن يبدو عليه أنه لا يعرف شيئا سوى النصب .

وبأسرع ما يمكن رتبته لقاء خاصا مع مديرة البيت لأدلى لها برأيه قلت : « أنا متأكدة أن الأمر كله هراء » .

— تقصدين هذه التهمة القاسية ؟

— أجل . لابد أنهم أخطأوا .

- اذن ماذا متعلمين ؟ هل ستدرين على الحساب ؟  
قلت لها بعد ان حسنت امري : « كلا - لن افعل اى شىء  
على الاطلاق » .

- لكن هل ستجبرين عمه ؟

- كلا . فهو لا يريد سماع كلمة ا

- وحادا عن مايلز نفسه ؟

- لا ينبغي ان اخبره باى شىء هو ايضا .

- اذن ساقف الى جانبك ، يا انسة . سوف نتدبر  
الامر معا !

- عظيم ، وتصلحنا بالايدي لتأكيد هذا الاتفاق .

لم تكن المسألة بمثل هذه السهولة كما تضررت . فقد  
شعرت بنوع من الشفقة الكبيرة تجاه الطفلين مثل عمهما  
فى شارع هارلى - وخاصة بالنسبة للولد . لقد أحببتهما  
هما الاثنين جدا ، وربما كان ذلك تأثيره فى حكمي عليهما  
ان معرفة مايلز بالحياة كانت فى بدايتها ، ولم اكن كقؤا

تماما لكى امد بها . ولا استطيع تذكر الحط الذى وضعها  
لدراسته فى نهاية الاجازة . كلنا كان يرى انه لا بد وان  
توجد دروس ، وانا أشعر الآن اننى كنت اشخص الوحيد  
الذى تعلم خلال تلك الأسابيع !

ولاول مرة فى حياتي عرفت الله . بن حتى كيف الله  
ولا افكر فى المستقبل . لم اكن اعرف من قبل مثل هذه  
الحرية والرحابة . كما لم يكن لدى الوقت لسماع موسيقى  
الصيف ومعرفة كل اسرار الطبيعة .

غير اسى كنت اعطى باحترام كبير ورعاية حسنة .  
كان الطفلان رائعين .

ولم تصدور عن الطفلين اى متاعب على الاطلاق .

وكان اكثر ما احببت فيهما فى ذلك الوقت ، هو رقيتهما  
وحسن اصفاتهما . كانت صحتهما على مايرام تماما وكذلك  
فى اكمال سماعة . ويقومان بفعل اى شىء اطلبه منهما .  
ومازلت اذكر تلك الأسابيع وكأنها فترة من الهدوء والسلام  
العظيم . لكننى الآن تأكدت ان ذلك الهدوء كان بمثابة  
الترقب الذى يستعد به الحيوان للقفز .

في العمر ، بل هناك على قمة الهرج الربع ابذي تسنقته مع  
فلورا \*

وأعقبت تلك الدهشة دهشة ثانية . فلم يكن الرجل  
الذي رأيته هو الشمس الذي في مخيلتي . كان غريبا على  
تماما . وفي اللحظة التالية ، اكتشفت ان الحديقة أصبحت  
هادئة جدا فجأة . سكنت رياح المساء ، وتوقفت الصيور  
عن التغريد ، لكن لم يكن هناك تغير آخر في مظاهر الطبيعة  
فالشمس الذهبية انغاربة عازالت موجودة في السمسماء ،  
والصفاء مازال موجودا في الجو ، والرجل لدى كان يتطلع  
الى كانت محاله واضحة وكأنه صورة في اطار \*

استرجعت بسرعة ملامح الأشخاص الذين اعرهمهم .  
لكنه لم يكن من بينهم . تطلع كل منا الى الآخر عبر اتساع  
الحديقة . ولفترة تكفى لأسأل نفسي عدة مرات عمن يكون .  
لكن لم يكن في استطاعتى ان اعرف ، وأخذت جبرتي من  
فشلنى هذا تغدو اقوى كل لحظة \*

في مثل هذه الأحوال فان السؤال المهم الذي يعقب  
واقوعها ، هو كم استغرق هذا الأمر . وبينما كنت أراقب

كانت أيام ، لصيف طويلة . وعندما كان تلميذاي ينتهيان  
من تناول العشاء والذهاب الى الفراش ، تعودت ان استمتع  
لمدة ساعة بمفردي . كنت اقضيها غالبا في الشمس في  
ارجاء البيت او في الحديقة ، مستمتعة بجمال البهت  
والهدوء . في تلك اللحظات كان يصعبنى أيضا ان افكر  
في المسيد الذي كان يقص في شارع هارلى . لقد كنت انفذ  
كل حاطب منى ان افعله ، وتمنيت ان اكون قد قدمت به على  
اكمل وجه . ودائما ما كنت انفيله يظهر فجأة في احد  
اركان البيت او احد الممرات ، يقف قبالى ثابتا مسامته المشرقة  
ويتنى على عملى . كل ماكنت اتمناه فقط هو ان يعرف ،  
والفضل طريقة للتأكد من انه قد عرف ، في حضوره الى  
هنا ، ورؤية ذلك منعكسا على وجهه \*

وفي نهاية يوم من تلك الايام الطويلة ، وفي احدى هذه  
المرات كان وجهه يلوح في مخيلتي هكذا بالضبط فخرجت  
من بين مجموعة من الأشجار وأصبح البيت كله في مواجهة  
بصري . ولفتت سكتة بلا حراك فقد اعتقدت بلروح من  
الدهشة ان خيالاتي أصبحت حقيقة . كان يقف هناك ! ليس

هذا الشخص كانت اعداد من اسماء الناس للذين اعرفهم  
تجارا أو خدما تمر عبر رأسى . وظل الامر لفترة حتى  
وصلت الى حقيقة انه ربما يكون شخصا من اهل البيت لم  
اره على الإطلاق .

- ٤ -

كانت اول فكرة خطرت على بالى ، نه ربما يكون هناك  
مر فى « بلاى » ، من المحتمل ان العائلة لديها قريب مجنون  
تضجل منه ، وحتجته هناك فى السر ، كانه سجين . كانت  
تلك هى احدى الأفكار التى انتابتنى ولم اعرّف كم من لوقت  
وقفت هناك وأنا فى منتهى الضيق بسبب الغضول و سهوف .  
وعندما عدت الى البيت كان انطلام قد حل تقريبا .

كانت اسبيدة جروز هناك فى استقبالى وكان يبدو  
على وجهها شيء من الجوع ، فعرفت انها افتقدتنى . وعندما  
زال جزءها ، عاد اليها تعمير وجهها العادى الطيب  
اصداق . وحينما تطلعت اليها ، حينئذ ، تأكدت انها لم  
تكتشف شيئا مما قد رأيته . فترددت وبعد لحظة قررت ألا  
أخبرها .

وتساءلت عندئذ كم مضمي من الوقت على وجوده معنا  
ضايقتنى تلك الفكرة ، على ما اذكر ، لأننى كنت المسئولة  
عن « بلاى » . ولاند أن اكون قد قابلت كل فرد فيه ،  
وتيقنت انه كان ينظر الى ، كما لو انه كان يسأل نفسه  
باضبط نفس الأسئلة . ولو أننا كنا قريبين من بعضنا ،  
فقد كان من الممكن أن تكون صريحة أو بداء هى النتيجة  
المنطقية لنظرأتنا الطويلة .

كان يقف فى احد زوايا المرح ، لكن بعد دقيقة غير  
حكاية بسمة . ثم شجه ناحية الركن الآخر وهو مازال ينظر  
الى ، لكن لفترة قصيرة . وبينما كان يعتمد كانت عيناه  
لاتزالان مثبتتان على بشده . وابتمد ، كان ذلك كل ما عرفته ا

أبدت بعض الإحذار لتأخيري بالخارج وتوجهت الى  
غرفتي .

كانت حجرتي هي المكان الآمن الوحيد الذي استطعت  
أن أفكر فيها بصفاء لعدة أيام . لم أكن خائفة بعد ، لكن  
الذي كان يرهقني هو التفكير في أنني ربما أصبح حائلة .  
بحثت عن بعض التفسيرات لهذا الحادث ، كما أعطيت  
اهتماما أكثر للأشياء العادية التي تجرى في البيت . ذلك  
أن الصدمة التي تعرضت لها أرهقت كل حواسي .

وبعد انقضاء ثلاثة أيام تأكدت من عدم وجود أقرباء  
يعيشون في السربا على البرج . ولم أستطع أن أصدق أن  
حائضت له قد يكون نكتة عملية رتبها الأطفال أو الخدم .  
وأحسست يقينا أنه ليس هناك أحد آخر في البيت عرفت  
أي شيء عن الزائر الغريب .

كان هناك احتمال واحد فقط يمكن حدوثه ؟ وهو أن  
شخصا ما دخل البيت دون أن يراه أحد . ربما يكون سائما  
مفرما بالنبيوت القديمة ، دخل الى البيت وصعد الى البرج ،  
واستمع بالنظر ثم انصرف في هدوء . لكن أن يفعل ذلك

فذلك جراءة منه ، والأكثر جراءة في الأمر نظرت الطويلة  
القاسية الى . على أي الأحوال فلقد انتهى الموضوع ولن  
يعود الى هنا مرة ثانية .

قررت أن أسس متاعبي بأن أعطي كل وقتي ومكسري  
لعمل . ولم يكن ذلك صعبا . فقد كان مايلز وولورا يمثلان  
بالنسبة لي سعادة وبهجة عظيمة . خاصة وأن عمل المربية  
عادة ما يكون عملا مملا ، لكني أحسست بنوع من الرضا  
التام فيه .

كان الطفلان يهباني متعة في كل شيء ، وفي كل يوم  
كنت أكتشف أشياء جديدة . لكن ذات يوم تم اكتشافه أي  
شيء على الإطلاق ؟ لأن مايلز لم يعبرني بأي شيء عن  
مدرسته . ربما أنه حل اللغز دون أن يقول كلمة . كان  
سلوكه ممتازا ، ولم أستطع حقيقة أن أصدق ببساطة أن  
ثمة طفلا مثله يستطيع عمل أشياء سيئة .

كنت متأكدة من ذلك تماما لأنه لم يفعل أي شيء أبدا  
يستحق عليه العقاب . ولو أنه كان شريرا ، فلا بد أنه



كان سيعانى من ذلك . ولكنى رأيت بوانى الم أو خجل  
عنى وجهه . لكننى لم أجد شيئ سوى السمادة . كان  
هناك نوع من اسعر فى هدين لطعين جعلنى اتسمى  
شكوكى والامى .

عازيت ابكر يوم الأحد اتناسى من شهر يوليو ، فقد كان  
صباحه مطر ، ولم نستطع الذهاب لى الكنيسة . وتعتقت  
مع السيدة جروز ان نذهب سويا فى المساء اذا توقف المطر  
ولحسن الحظ توقف المطر فهبأت نفسى لنذهب لى القرية  
وعند نزولى عنى اسلمت تذكرت حقيبتى التى تركتها فى  
حجرة الطعام وقت تناولنا لشاي . فذهبت لأحضرها .  
كانت خطوه واحدة داخل الغرفة فيها اسكافية ، ملقد رأيت  
حقيبتى فوق أحد المقاعد بالقرب من النافذة العريضة ، التى  
كانت مغلقة . ورأيت كذلك شخصسا يقف خارج النافذة ويطل  
مباشرة الى الداخل ، وتعرفت عليه فى الحال . كان نفس  
الرجل الذى ظهر لى من قبل فوق البرج ا

لم تكن صورته أوضح بالنسبة لى ، عكس ماحدث فى  
المره الاولى ، لكنه كان بالتأكيد اكثر قربا منى . جعلنى

وتعرفت عليه فى الحال ١٠٠



منظره انكم انفسى واصاب ببرودة • كان وجهه ملتصقا بالزجاج • نظر الى • وعرفت انه تمسوف على • لكننى شعرت كما لو اننى كنت رأيته منذ اعوام واننى اعرفه منذ فترة طويلة • وحدث شيء هذه المرة لم يحدث من قبل ؟ وهو ان عينيه ابتعدتا على للمحطات قليلة ، ولخذلنا تطلمان فى انحاء الغرفة •

وتأكدت فى الفم انه يبحث عن شخص آخر ، وأنه لم يحمض من أجلى •

وكان لمعرفة ذلك أثر غريب على • اذ فتح عنه احساس بالواجب والشجاعة • فاندفعت خارجة من المحسرة الى الصالة ثم الى الخارج • وللفت حول ناصية البيت ، حتى وصلت فى مواجهة نافذة حجرة الطعام مباشرة من الخارج لكن الزائر كان قد اختفى • توقفت ، وشعرت بنسوع من الارتياح نتيجة لذلك ، ثم انتظرت لأعطيه فرصة للظهور مرة ثانية •

كان العمر والصديقة المجاورة ، والغناء الخفى ، كلها خالية • وكانت هناك أعشاب طويلة وأشجار صمغة لكننى

كنت على يقين من أنه لا يختفى بداخلها فهو اما أن يكون موجودا هناك أو غير موجود ، وبالتالي فهو غير موجود • اذا لم استطع رؤيته ، وقفت حيث كان واقفا • واتجهت ناحية النافذة وضغطت وجهى على لزجاج كما فعل • فى نفس اللحظة دخلت السيدة جروز الى حجرة الطعام من الصالة • رأتى كما رأيت أنا الزائر القريب ، توقفت كما توقفت أنا • وتسببت لها فى صدمة بنفس انقدر الذى حدث لى • ابيض لونها ولعلت نفس الحركة التى لمستها أنا • اندفعت خارج الحجرة • كنت اعرف انها لا بد ان تلتفت وتأتى الى الخارج ، وبينما كنت أقف مبتعدة ايها تصامت لماذا ارتعبت وابيض لونها ؟

كانت انفاسها متعلقة عندما وصلت الى عبر الناحية  
وقالت : « ما الأمر ؟ »

لم اقل شيئاً حتى اصبحت الى جوارى هسائها : « كيف  
يبدو منظري ؟ »

- يبدو مربعاً • غلونه ابيض مثل ملء السرير !

كان لابد ان اقول لها الآن • فلم اعد استطيع الاحتفاظ  
بسر هذه المرة الثانية • « لقد حضرت الى بالطبع لقد هب  
الى الكنيسة ، لكنني لا استطيع الذهاب !

- هل حدث أى شيء ؟

- نعم • • سأمكن لك عنه • هل بدأ منظري غريباً  
جداً ؟

- من خلال النافذة ؟ أحل ، مربع ا

قلت : « فعلا ، لقد كنت مرتعبة »

وأوضحت لى عينا السيدة جرور بوضوح انها لاتريد ان تبدو خائفة ، فأمسكت بيدي وكانت على استعداد تام لمشاركتي في أزمتي حينذاك ، وقلت :

- لقد أبهرت لونه عندما رأيته خلال النافذة - أما ما رأيته أنا - فكان أسوأ من ذلك بكثير !!

فسألته : « ماذا رأيته ؟ »

- رأيته رجلا غريب الشكل يتطلع إلى حجرة الطعام ا

- أى رجل ؟ ا

- ليست لدى أى فكرة .

تطلعت السيدة جرور حولها وقالت : « اذن الى أين ذهب ؟ »

- لا أعرف ذلك أيضا .

- هل رأيته من قبل ؟

- نعم ، مرة ، كان فوق البرج حينذاك ا

- هل تعين انه غريب ؟ ا

- أوه ، هو كذلك بالفعل ا

- لكنه لم تخبريني من قبل .

- كلا ، كان لدى مبرراتي ، لكنه تبين الأمر الآن ا

اتسعت عيناها بشكل كبير : « أنا لم أتبين أى شيء ، ثم قالت ببساطة : « هل انت متأكدة من انه لم تخفى ذلك »

- متأكدة تماما ا

- والله رأيته مرة من قبل فوق البرج ؟ ا

- رأيته فوق البرج ، وخارج هذه النافذة الآن ا

- ماذا كان يفعل فوق البرج ؟

- كان واقفا هناك ولاكثر ، ويتطلع الى

- فكرت لنقيقة : « اكان سيدا أم خائفا ؟ »

لم استطع الاجابة على الفور : « لم يكن سيدا ا »

- اكان واحدا من اهل القرية ؟

- كلا ليس من أهل القرية - لا أستطيع وصفه ، لكنى متأكدة من ذلك .

- حسن ، إذا لم يكن سيّدا ولا واحداً من أهل القرية فماذا يمكن أن يكون ؟

- انه ... أوه فليسمعني الله ، أنا لا أعرف من يكون تطلعت السيدة جروز حولها مرة ثانية ، وتطلعت عبر الحديقة والغناء ثم التفتت الى وقالت : « كان من المفروض أن تكون في الكنيسة الآن » .

- أنا صمّة ، لن أستطيع الذهاب معه !

- ولم لا ؟ ربما يكون في ذلك مصلحة لك ؟

- لكن لن يكون ذلك في مصلحتيها .

وتطلعت تجاه حجرة الأطفال ..

- قصصين الطفلين ؟

- نعم ، لا أستطيع تركهما الآن . أنا خائفة منه !

عندما قلت ذلك تغير تعبير وجهها . اذ يبدو أن فكرة

جديدة طرأت على ذهنها ، فكرة لم أوحى أنا بها اليها .  
ويبدأت لسألتني : « حتى رأيته - فوق البرج ؟ »

- منذ ثلاثة أسابيع مضت ، في نفس هذا الوقت من النهار .

فحالت السيدة جروز : هل كان الجو ظلاما تقريبا ؟

- أوه ، كلا - كان الوقت مساء وكان هناك بعض الضوء .. ورأيت به نفس امكانية رؤيته الآن !

- اذن كيف أمكنه أن يدخل ؟

ضجعت : « بل كيف أمكنه أن يخرج ؟ لم تكن لدى فرصة لسؤاله .. وهذا المساء لم تكن لديه المقدرة على الدخول » .

- هل كان يتسلق فقط خلال النافذة ؟

- أجل ، وأتمنى ألا يفعل أكثر من ذلك .

واستدارت لتتصرف . فانتظرت لحظة ثم قالت :  
أذهبي انت الى الكنيسة . مع السلامة ينبغي أن أتقرب قريبا !!

تطلعت انى عيسى ثنية وقالت : « هل انت حائفة  
على الاطفال ؟ »

— وانت الست كذلك ؟

لم تجب وذهبت تجاه اسافذة وضغطت وجهها على  
الزجاج ، فواصلت كلامي : « انت ترين الآن كيف كان  
بامكانه ان يرى » .

لم تتحرك وقالت : كم من الوقت بقى واقفا هنا ؟  
— حتى خرجت ، خرجت لاقبله ؟

عندئذ استدارت السيدة جروز وقالت : « ام انا فلم  
استطع الخروج » .

ضحكت فائية : « لم اكن اريغب لى الخروج كذلك .  
لكى خرجت ، لاننى اعتقدت ان ذلك من واجبى »

فردت قائلة : « وكذلك من واجبى ايضا — قولى لى ،  
ما شكله ؟ »

— شكله .. اوه .. لا ادرى ا لايشبه احدا !

فردت : لايشبه احدا ؟ !

— لم يكن يرتدى قبعة .

وفجأة أصبح وجهها جادا جدا ، وبسرعة اكملت  
الصورة : شعره احممر ، احممر جدا ، صمد ، ووجهه  
مستطيل شاحب . ملامح وجهه واضحة مباشرة . حاجباه  
اثقل من شعره ويتحركن الى اعلى واسفل كثيرا .. عيناه  
خريبتان ، حادتان ، صفيرتان يكنهما ثاقبتان .. فمه واسع  
وشفتاه غليظتان ، طويل .. مفرد الجسم ، نشط لكنه من  
المستحيل ولا يمكن ان يكون ميذا ؟ !

عندما كنت اتكلم شحب وجه رفيقتى وجعلت عيناهما  
وانغفر فاما وصاحت : « صمد ، سيد ، ايكون هو ؟ » .

فسالتهما : « اذن ، هل تمرينه ؟ »

— لكن هل كان مظهره محترما ؟

— اوه جدا !

فواصلت : « وماذا كان يرتدى ؟ »

فاجبت : كان يرتدي ملابس شخص آخر - ملابس  
محترمة ، لكنها لا تخصه !

ضحكت بهستيرية : انها ملابس سيدى

- اذن ، فانت تمرقينه !

فصاحت : « انه كوينت ! »

- كوينت ؟

- بيتر كوينت ، خادم السيد . خادمه الخصوصى  
عندما كان هنا .

- عندما كان السيد هنا ؟

- لم يكن يرتدى قبة أبدا ، لكنه بالفعل كان يرتدى ؟  
حس ، لقد فقد السيد معطفين أو ثلاثة من معاملته ! كان  
هما الاثنان هنا العام الماضى . ثم رحل السيد . وبقي  
كوينت وحيدا .

- تعين انه عاش هنا وحده ؟

- كلا . كان وحيدا معنا . كان مسئولنا عن « بلوى » .

- وماذا حدث له ؟

ترددت لفترة طويلة . ثم قالت : « لقد ذهب ايضا » .

سألتها : « ذهب الى أين ؟ »

وأصبح تعبير وجهها غريبا فى تلك اللحظة وقالت :  
« يعلم الله ، الى أين ذهب ! لقد مات ! »

صعقت : « مات ؟ ! »

تحركت قليلا ثم وقفت امامى بثبات . وقالت فى نبرة  
كلها تعجب : « أجل ، مات مصتر كوينت ! » .

لم نذهب الى انكيسة ذلك المساء • وبدلاً من ذلك  
ذهبنا الى حجرة الدراسة واغلقنا على أنفسنا وقمنا ببعض  
الصلوات والندوات •

بعد ذلك ناقشت مشكلتنا • أو بالأحرى مشكلتي أنا أكثر  
من السيدة جروز • فهي شخصياً لم تراهي شيء ولا حتى  
مجرد شبح زائف ولا تمقد ايضاً أن هناك أحداً آخر في  
البيت قد رأى ذلك • وأصبح لامر من قبول أن شبح كوينت  
قد ظهر لي فقط • فقد كان وصفى به صادقاً تماماً فلم  
تستطع أن تشكك في كلماتي • ونتيجة لذلك فقد أظهرت  
نموى رقة وعطفاً لا يمكن أن انساهما أبداً •

وقررتا عندئذ أن نتحمل عبء هذا الموضوع سوياً •

وكنيت على علم يائسى سافاسى كثيرا لمصلحة الأطفال . لايد  
 ان بي شينا مختلفا ، فقد كنت استثناء ضمن ثمانية أو تسعة  
 أفراد يقيمون في اديت . لكنى حصلب على نوع من الراحه  
 لمعرفة أنه في استماعى التغلب على ذلك . ومنذ ذلك الوقت  
 مصاعدا كنت أحكى كل شيء للسيدة جروز . واستطيع أن  
 أن أتذكر بوضوح تلك القوة المفاجئة التى جعلت على قلب  
 أن يفتقر لسوم . . . فلفد رويت لها ماحدث عدة مسرات  
 وبالتفصيل .

— تقولين انه حضر بعثا عن شخص آخر . وانه لم  
 يحضر لرؤيتك ؟

فاجبت : « اعتقد أنه كان يبحث عن مايلز »

— لماذا تعتقدين ذلك ؟

— لدى احساس اكيد . الا تتفقين معى فى ذلك ؟

علم تبس اعتراضا وقالت : جاد ، يحدث لى فرض وراء  
 مايلز .

صحت قائلة : ذلك مايريده الرجل . يريد أن يظهر  
 لهما .

عندئذ صممت على حماية الطفلين . أن اجعل نفسى  
 دائما بمثابة حاجز بينه وبينهما . . . كنت متأكدة تماما انى  
 سوف اراه مرة ثانية ، وانه ليس فى مقدوره أن يصيبى بأى  
 اذى . وبمساعدة السيدة جروز لى اعتقدت أن لى امكانى  
 أن اتغلب على لمشكلة . وحازت أذكر احد الأشياء الأخيرة  
 التى قلتها لها فى تلك الليلة .

— لكن اليس من المريب أن الطفلين لم يذكرنا شيئا  
 أبدا . . . ؟

وتردبت للسلطة . . .

فاكبت السيدة جروز هايدور فى فكرى : . . . أن  
 كريت كان هنا ، وأنهما كانا معه ؟

— لم يخطأ بكلمة عنه أبدا . ولا حتى اسمه .

— حسن ، فلورا لا تذكره بالجميع . فلقد كانت صغيرة  
 جدا . ولا تعرف أى شيء عنه .

— اذا كنت تعنين موته ، فربما لا تذكر . لكن مايلسن  
 لابد أنه يذكر .



فنوسلت الي : « اوه ، ارجو ألا تسألني ، يا أنسة » .  
 - لا داعي لخوفك ، لكنها حسالة غريبة . اليس كذلك ؟  
 - هل لأن مايلز لم يقل لك شيئا أبدا عن كوينت ؟  
 - نعم . خاصة وقد قلت انهما كان صديقين حميمين .  
 فاعلنت اعتراضيها : « اوه ، لم تكن المصادفة من جانب  
 الطفل ، كانت وجهة نظر كوينت .. أعنى أن يلعب معه  
 ويفسده » .  
 توقفت ثم اضافت : « لقد كان كوينت متحررا جدا » .  
 تحيلت وجه الشبح و تقبني عجة شعور بالتقرز وقلت :  
 « متحرر جدا مع مايلز ؟ »  
 - « بل ، متحرر جدا مع كل شخص ا »  
 فهمت من ذلك أن كوينت كان له بعض التأثير السيء  
 على الآخرين في البيت . لكنني عرفت أيضا أن « بل »  
 يتمتع بسمعة طيبة بين الخدم وأهل القرية . ولم تكن هناك  
 حكايات سيئة مما تروي عادة عن مثل هذا النوع من البيوت  
 القديمة .

- وهكذا فانت تمشرفين ادن ، بأن شخصيته كانت  
 سيئة ؟  
 - حسن ، انا كنت أعرف ذلك .. لكن السيد لم يكن  
 يعرف .  
 - ألم تقولي له أبدا ؟  
 - أنت تعرفين يا أنسة ، انه لا يحب الشكوى . وكان  
 يتضايق جدا من أي شيء من هذا القبيل ، وإذا كان لباس  
 بالنسبة له يبدو على مايرام ..  
 - فلا يفسح أي مجال للشكوى ، نعم ، اتفق معك .  
 فهو يحب أن يتفادي كل المشاكل ويجعلها بعيدة عنه . لكنني  
 اعتقد لو أنني كنت مكانك لقلت له !  
 - اعترف بأنني كنت مخبطة . لكنني في الحقيقة كنت  
 خائفة .  
 - وما الذي كنت تعافين عنه ؟  
 - من الأشياء التي كان من الممكن أن يفعلها ذلك الرجل  
 فقد كان كوينت ماهرا جدا ، وحادا جدا ..

- ألم تحاشى من تأثيره ....

- فأشيره ؟

كررتها بشيء من الألم .

.. أقصد تأثيره على أطفالين . فقد كنا تحت رعايةك .

.. أوه ، كلا ، لم يكونا تحت رعايةنى . فقد كان المييد  
يثق به وأرسله الى هنا لأن صحته كانت معتلة . لأن جو  
الريف كان من الممكن أن يعيده . كان مسئولاً عن كل شيء  
.. حتى الأطفال .

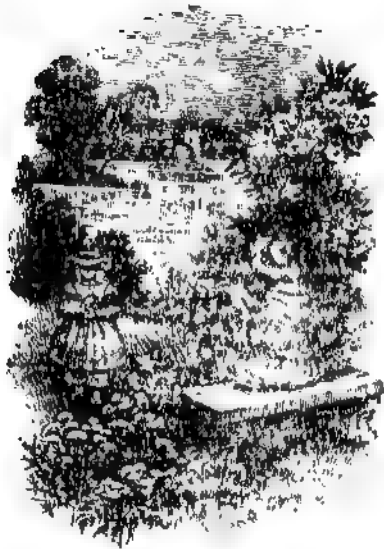
أدملتى هذه الأشياء . حتى اننى استعبرت لأخفى  
وحتى وقلت : «أتعنين أن هذا الرجل كان مسئولاً .. هتبعها ؟  
كيف أمكنك أن تطبق ذلك ؟»

- لم أستطع .. لم أستطع .. ولا أستطيع حتى الآن  
وانعبرت الخرافة المسكية في البكاء وسرعان ما تركتني  
بسرعة .

و مشهد من اليوم التالي حرصا على مراقبة مايلز ومنورا  
عن قرب . وكنا أحيانا نعود الى مناقشة الموضوع خلال

الأسبوع أن والسيدة جروز . واعتقدت أنه ناقشنا كل  
شيء ، لكن كان هناك دائما سؤال نرغب كل منا أن نطرحه  
مرة ثانية . فلقد كان لدى احساس غريب بأن هناك شيئا  
ما لم نطرحه لى . شيء لم يكن واضحا حتى بالنسبة لى ،  
حتى أسألها عنه سؤالا مباشرا . أنا لا أشك فى إخلاصها ،  
لكن أخفاها فى انقيام بذلك كان مبعثه الخوف بالتأكيد .

كنت اقصى أوقانا طويلة من الليل نقطة . افكر مليا  
فى الحقيقة . لقد أعطونى صورة لرجل حى .. وبالقائى لم  
افكر فى الرجل الميت . ولم تكن صورة لطيفة . لقد  
قضى عدة شهور فى « بلاى » ، حتى انتهت تلك الفترة  
الاثمة صباح أحد ايام الشتاء . إذ وجد بيتر كوينت ميتا على  
الطريق المؤدى الى القرية . كان هناك جرح فى أحد جوانب  
رأسه ، قيل أنه من أثر سقوطه على حجارة الطريق فى  
الظلام . كان يشرب فى حانة القرية . واعتبر لبوليس  
موته مجرد حادث . لكن أثناء التحقيق قيلت أشياء غريبة  
منها : أن كوينت كان يعيش حياة غير طبيعية ، وأن تصرفاته  
مشكوك فيها ، وأنه كان يعاني من بعض اضطرابات غير  
معروفة فى عقله .



كنت اجلس مع فلورا في الحديقة ..

عندئذ هيات نفسي لآكون بمثابة سياج حول لطفلين .  
فلقد كان واجبي هو حمايتهما من وجود كوينت الشرير  
والآ يشاهد! الا القليل من الكثير الذي شاهدته . بل وتمنيت  
بالطبع ، الا يريا شيئا ، وأن يظل كوينت حقيقيا عن ناظرهما  
كما هو الحال بالنسبة للمسيحة جروز ..

كانت تلك الفترة فترة ترقب وقلق ، نكن انتظاري لم  
يستمر طويلا حتى تحول هذا القلق الى برهان مفيد !!

فقد حدث بعد ظهر أحد الأيام عندما كنت اجلس وهدى  
مع فلورا في الحديقة .. كنا قد تركنا ما يلز في البيت  
جالسا على أحد المقاعد الوثيرة بجوار النافذة لنهني كتابنا ،  
وكنتم سميدة لتشمجيعه على ذلك . فقد كان من أحد هيوبه ،  
ربما ، انه كان يترك واجباته دائما دون أن ينتهيها ! اما  
فلورا فكانت تريد الخروج للتمشي ، ومن ثم خرجنا سويا  
لتمشي عند البحيرة .

وكامعادة كنا نلعب سويا . ولسم اكن ابدا اشارك  
تلاميذي بحماس شديد في هذه الألعاب . لأنهم دائما

ما يكونون على راحتهم بدورنى ، لكن كان لابد أن أبدى نوعا من الاتفاق حتى أبدى شخصية جذابة بالنسبة لهم • كانوا لا يترقبون حتى أن أفعل أى شيء أبدا • ونسيت ما كنت عليه فى هذه المناسبة ، لكن كل ما أذكره أننى كنت هادئة جد وأشعر بأهميتى ، على حين كانت فلورا تلعب بنشاط زائد • وفى ذلك الحين كنت جالسة على أريكة حجرية قديمة بجوار البحيرة أقرا خطابا طويلا تسلمته هذا الصباح من قبل والدى •

لجأة انتابنى احساس غريب بأننا مراقبان ، لم أرفع نظرى الى أعلى لكننى ركزت فكرى وحاولت أن أقور ما يجب أن أفعله • احساسا أحياسا أكيدا بوجود شخص غريب • وما زلت أذكر الاحتمالات التى حالت فى ذهنى ، ربما يكون شخصا من أفراد البيت ، أو رسولا من القرية أو صبي البقال لكن احساسا ما كان يؤكد لى أن الأمر ليس كذلك •

ولجأة أصبحت فلورا ساكنة ، لكن للمحظة فقط • ثم شرعت فى الغناء وبدلا من التطلع الى البحيرة ، أخذت أنظر مباشرة الى الطفلة • وانتابنى القلق إذ ربما تكون

قد أحسست بوجود الغريب وثوقعت أن تصدر عنها هسيحة اندهاش أو خوف • لكن لم يحدث شيء وعندما نظرت إليها كانت تقف وتظهرها لى ، لبحيرة • وانقطعت لصيحتين من أحواد الحشيب كانت تحاول أن تصبع صمغ صمغ قاربا صمغ قاربا • بعدما أخذت أنظر الى الماء

- ٧ -

عدت بأسرع ما يمكن لمقابلة السيدة جروز . وصحت  
قائلة :

- المصفلان يعرفان ! انهما يعرفان ، يعرفان وهذا شيء  
مقلق !

فردت : « يعرفان ؟ ما الذي يعرفانه ؟ »

- يعرفان الذي نمرقه تماما .. وربما أكثر ! .. منذ  
ساعة مضت كنت أأنا وغورا عند البحيرة ، وراث ما رأناه !  
أنا أعرف أنها رأث !  
.. هل كانت لك ؟

- لم تنطق بكلمة .. وهذا أصلا ما في الموضوع ..  
لكنني متأكدة تماما أنها رأثها !

## - راتها ١٩ -

- أجل ، كانت امرأة هذه المرة ، لكنها بدت سييرة  
تماما مثل الرجل . كنت تودى اسماء ووجهها شاحب  
بدرجة محيفة . . . . . لا أستطيع أن أصف لك كيف . . .

- أين ريتها ؟

- على الضفة الأخرى من المصيرة . كنت جالسة على  
مقعد حصى قديم ، وكانت الطفلة تلعب . ثم فجأة ظهرت .

كيف ظهرت . . . . . ومن أين ؟

- صهري فجأة ووفعت هناك . كان لدى احساس ان  
شخصا ما يراقبنا حتى قبل ان اراها .

- هل سبق ان رايتها من قبل ؟

- أبدا . لكن الطفلة راتها من قبل . انها تعرفها .  
وبت تعريتها ايضا . . . . . اعتقد انها المربية السابقة . . . . . تلك لتي  
ماتت .

- الاسبسة جيزيل ؟

- نعم !

- لكن كيف يمكنك ان تعرفي ؟

- لا ادرى . لكن سرور تعرف - انها متأكدة . ارجو الا  
تسألها . فسوف تقول انها لم تر اى احد . سوف تكذب  
عليك !

- آه ، لكن كيف تستطعين قول شيء مثل ذلك ؟  
فلورا عمرها ثمان سنوات فقط . . . . . ؟

- اعتقد اننى مدركة لذلك تماما . ان فلورا لا تريدنى  
ان اعرف . ولو أنك كنت موجودة عند البحيرة . لا يمكنك التحقق  
من ذلك . هناك سر عميق بخصوص هذا الموضوع وكلما  
افكر فيه أكثر كلما ازداد خوفا !

- هل تعتين أنك تضحين من رؤيتها ثانية ؟

- آوه ، كلا ، كل ما أشتاء ان تراها فلورا ، فى حين  
لا اراها انا !

بدت عليها الحيرة وقالت : « انا لا اهم . ينبغي الا

نضفل ذهبا بذلك ! وعلى كل ، فربما تكون الطفلة غير مدركة ؟

وحاولت أن تلقى بكتفه . من المحتمل أنها معجبة بذلك !

— طفلة في الثامنة .. تعجب بمثل هذه الأمور ؟

— حسن ، إلا يثبت ذلك أنها لاتدرك أبعاد المسألة ؟

فقلت : « أوه ، أرجو أن يكون الأمر كذلك . أما إذا كان العكس فهذا يدل على وجود شيء مزعج ، لأن المرأة تعسيف للشر كله »

أطرقت السيدة جروز براسها الى الأرض لمدة دقيقة ، ثم رفعت بصرها الى ثانية وقالت : « أخبريني كيف عرفت ذلك ؟ »

— من منظر وجهها .. من الطريقة التي كانت تنظر بها .

— تقصدين الطريقة التي نظرت بها إليك ؟

— كلا ، كلا . فهي لم تنظر الى على الاحلاق . بل كانت مهتمة بقلوبها فقط .

— وكيف كانت تنظر الى السيدة ؟

— أه ، بنظرة قاسية ، كيف يتسنى من أن أصفها ؟ كانت تنظر إليها بصر ر مربع .. لسيطرة عليها !

سكتت السيدة جروز لحظة ثم قالت : « هل كانت المرأة تلبس السواد ؟ »

— نعم ، كان منظرها بائسا ومشوشا ، لكنها كانت تتحلى بجمال غريب . أوه ، نعم ، جميلة حقا .. لكنها شريرة !

وتكلمت السيدة جروز ببطء وقالت : « كانت الأنسة جيزيل شريرة حقا »

وامسكت يدي وصنعت عليها برقة . وقالت بعد لحظة : « لقد كان كلامها شريرا »

فأجبت : « الآن المهم السبب في عدم كلامك من قبل . لقد كنت وفية لها . لكني أعتقد أنه يحتم عليك الآن أن تتركي لي . ما السبب في موتها ؟ هل كانت هناك علاقة بينها وبين كوينت ؟ »

- نعم • بل أكثر من ذلك !

- بالرغم من اختلاف ...

- ... مستواه • ومركزهما • • نعم • بالرغم من

كل شيء • • كانت سيده محترمة !

ما زلت أذكر تعبير وجهها وهي تقول : « نعم - كانت  
سيده محترمة » •

- وكان هو مجرد خادم خاص •

ولم أشأ أن أجعل السيدة جرور تشعير بالفجل بقول  
المزيد عن وضعية المخدم الاجتماعية ، فاكثفت بقولي : لقد  
كان شجعنا مقززا •

فقلت : لم أعرف انسانا يماثله • فلقد كان يتصرف  
بما يرضيه ويسمده هو فقط •

- مع الأسرة جيزيل ؟

- أجل ، ومع الخاديمات أيضا •

- لكن لا بد أنها سمحت له بذلك • لا بد أن ذلك كان  
برشاما •

- كان الأمر كذلك • لكنها كانت تعاني منه فيما بعد •  
يألها من امرأة مسكينة !

قلت : « إذن فانت تعرفين سبب موتها »

- كلا • لا أعرف شيئا عن ذلك • ولم أريد أن أعرف •  
وكنت سعيدة من أجلها عندما رحلت من • بلائ • •

- لكن لديك فكرة ما • •

- أنا أعرف بالطبع السبب الحقيقي لتركها المكان  
ما • • سم تستطع البقاء • عليك أن تتخيلي فقط ما يمكن  
أن يحدث بلمربية هنا ! أوه ، شيء فظيع !

ركبت أنا التي انفجرت بالبكاء هذه المرة • فهاطنتي  
بذراعيها الحانيتين • وصحبت قائلة : ما لدى يمكنني أن  
الفعلة لانقاذ الصغالي • • لحمايتهما ؟ ان الأمر أسوأ جدا  
مما كنت أتخيل !!



- ٨ -

بعد أن تركت السيدة جروز عدت إلى الطفلين \* \* فلما  
كان العلاج الأمثل لتوترى أن تقوم بالتدريس لهما في حجرة  
الدراسة \*

والبلت فلورا ناجيتسى على الفور ، تتمتع في عيني  
وقالت بجدية : « ماذا حدث ؟ لماذا كنت تبكين ؟ »

كنت أظن أنني قد محوت آثار الدموع من عيني ، لكننى  
كنت سعيدة وقتها لأننى لم أفعل ذلك . فنظرت إلى عينيها  
الزرقارين اصنافيتين ، وتأكدت تماما أنه ليس بهما أى نوع  
من الخداع المصنوع . كانت عيناها من الجمال بحيث  
لا تسمعان لأى نوع من الخداع \*

وعندما أصبحت قريبة من الطفلين ، لم أستطع تصديق

انهما يعرفان أو يفهمان معنى الشر . وتلاشت شكوكي  
ومخاوفى عندما سمعت صوتيهما .

وفى وقت متأخر من الليل ، وبعد أن نام كل فرد من  
البيت ، كان لى حديث مع السيدة جروز . عبرت لها عن  
مشاعري نحو الطفلين ، وشرحت لها كذلك مظاهر الخداع  
التي لاحظتها بعد الظهر بالقرب من البحيرة .

قلت : لقد راعنى أن فلورا جموعة على لقاء هذه  
المرأة ! وأنا أعرف الآن اساليبها الصميرة ، لقد رأت الآنسة  
جيزيل . . لكنها كانت تريدنى أن أعتقد بأنها لم ترها . فى  
نفس الوقت ، ودون أن يبدو عليها أى شيء ، كانت تتساءل  
عما إذا كنت قد رأيتهما أم لا !

سألتنى السيدة جروز : « كيف يمكنك أن تتأكدى من  
ذلك ، قطلة فى ثامنة لاتستطيع أن تفكر عسى هذا النحو »

فاجبت : « أعرف من خلال تصرفاتها . كانت تحاول أن  
تحول انتباهى بعيدا عن ابزائرة . فبدأت تمنى وتحدث  
الى نفسها . ثم أرتى القارب الصغير الذى صنعتته » .

قلت : « فى الحقيقة ، أنا لا أستطيع فهم المسألة على  
الأطلاق ! »

لم أكن أتوقع من السيدة جروز بالطبع ، أن تصدق أى  
شيء يسببه اسى فلورا . نكن لو أننا تعاوننا سويا ، فسوف  
أكون على يقين من شيء واحد .

سألتها : لكنك تصدقين أننى رأيت الآنسة جيزيل ،  
اليس كذلك ؟ فأما لم أكن أستطيع وصف هذين الشخصين  
بوضوح ، إذا لم أكن قد رأيتهما . وقد تعرفت أنت عليهما  
فلورا من خلال وصفى .

« أعرف . . وهذا لايرقى اليه الشك . فلقد وصفت  
كروينت تماما ، وكذلك الآنسة جيزيل . نكن أوه ، كم أود  
أن نضاهما !

وقلت : « أنتى أبحث عن سبيل للهرب منهما ، أو على  
الأقل تتحود على هذا الخطر . ويبدو أن الطفلين متعودان  
تماما على ذلك ، وأن ذلك لايسبب لهما أى ضرر حتى الآن  
إلا إذا . . . »

وترددت اللحظة • لسألتني : « الا اذا ماذا »

— أنت تذاكرين بالطبع خطاب مدرسة مايلز • وعندما  
ناقشنا المسألة ، قلت ان مايلز يكون سيئاً في بعض الأحيان  
لكنني منذ عرفتته فهو دائماً ما يتصرف بشكل طيب • لكن  
المدرسة اكتشفت بعض الأخطاء التي صدرت منه ، وأنت  
تعرفين على الأقل مثالا واحداً من تصرفاته السيئة فقلولي  
لي ما هو •

فاجابت : « هو تعبه بكوينت • وكما كان يؤرقني جدا  
وجودهما دائما مع بعضهما • واستمر ذلك لعدة شهور •  
ولم يكن من الصواب املاقا ان يكونا يمثل هذه الصداقة  
الحقيقية ، وتحدثت الى الأنسة جيزيل بخصوص ذلك » •

— وماذا قالت ؟

— قالت ان ذلك ليس من اختصاصي • بعد ذلك قلت  
لمايلز ، انه لابد لذلك الشئ ان يعرف مركزه في هذا  
البيت

قلت : « كنت تقصدين بذلك ان كوينت مجرد خدام  
خاص ، وليس من المناسب ان يكون صديقاً له • »

— أجل ، ولم تمنعني اجابته علي • وكان يتناقش معي  
بخصوص ذلك في كل مناسبة • كنت أصرف انهما كانا  
يقضيان ساعات طويلة أحياناً ، كما لو ان كوينت كان مسئولاً  
منه • لكن مايلز كان يقول ان ذلك ليس صحيحاً •

— فهمت • كذب عليك اذن ؟

— أعتقد ذلك • في حين ان الأنسة جيزيل لم تكن  
تعلم من مرافقة كوينت • ثم تكن تهتم بالأمر على الإطلاق •

— ألم يذكر مايلز أبدا وجود أي علاقة بين الأنسة  
جيزيل وكوينت ؟ هل تعتقدين انه كان علم بعلاقتهما ؟  
فصاحت : « أه ، لا أعرف • لا أعرف ! »

— أنا أعتقد انه ربما كان على علم بذلك فعلا ، وكان  
يحاول أن يخفي ذلك عنك • فطالما كذب عليك ، فلا بأس  
بشيء من الخداع •

فقالت السيدة جروو : « أه ، ذلك ليس شئاً حسناً ! »

فاجبت : « وخساب المدرسة أيضا ليس بالشيء الحسن  
كذلك » .

— ... لكن اذا كان هو يمثل هذا السوء ، فكيف يكون  
اذن يمثل هذه الطيبة الآن ؟

قلت : « فعلا ، كيف ، كيف ، ارجو ان تميدى  
على هذا السؤال مرة اخرى لأننى لا استطيع الاجابة عليه  
الآن » فبكفنى ان اعرف انه بينما كان مع ذلك الرجل .  
— كانت فلورا مع المرأة ، الوضع مناسب لهم جميعا .

ولقد عبرت السيدة جروز بتكملتها افكارى من اسوأ  
مخارفى ، لم اشرح لها الأمر واكتفيت بقولى : « يتبقى على  
مراقبتهما الآن أكثر من اى وقت مضى » .

نهضت لتصرف . وعند الباب قالت : انت بالتأكيد  
لا تهمين مايلز بمقابلة كوينت سرا ؟

قلت : « أنا لم اتهم احدا بعد » . يجب ان انتظر حتى  
ارى ماذا يحدث !! »

- ٩ -

انتظرت وانتظرت . ويمضى الأيام أصبحت أكثر  
هدوءا . ولم تمض أيام كثيرة ، حدثت من اى أحداث جديدة  
حتى استعاد ذهنى صفاء مرة ثانية .

لقد جعل الطفلان عملى بمثابة سعادة كبيرة لى ،  
وسرعان ما اكتشفت مدى اجتهادهما . ولم يكن مصدر  
سعادتي هو أداء واجباتهما المدرسية ، بل كانا لا يكلان اداء  
عن ايجاد اى وسيلة جديدة لتسليتي واسعادي .

كانا يمان رواية الحكايات لى ، أو قراءتها لى .  
كانا يمثلان بعض المشاهد الصغيرة لامتاع . كما بهرنى  
ايضا ذاكرتهما المدهشة . فكانا يستمعان عن ظهر قلب  
اشعارا طويلة كنا قد قرأناهما سويا ، واعتقد أنهما حفظا هذه

الاشعار سرا لجود اسعادي • تقدم مايلز تقدما ملحوظا  
في دراسته ، ومن المحتمل اننى بسبب ذلك لم اشغل عكرى  
بالبحث عن مدرسة اخرى •

حتى بعد ان غادرت « بلاى » كنت احاول اكتشاف تفسير  
معقول لمهاراته المذهلة • • بدا لنا اننا نعيش فوق سحابة  
ذهبية من المنجاج والبهجة • كان يعزف على البيانو برشاقة  
وجمال ، وكنت اجلس لاستمع اليه ، أكثر مما كان ينبغي  
على المربية ان تفعل • • ويبدو انه في ذلك الوقت كان واقفا  
تحت تأثير قوى على ذهنه ، جعل حواسه متعطلة كالنصل  
الحاد اللامع •

وكان من السهل على ان اؤجل البحث عن مدرسة  
بالنسبة للصبي الصغير ذلك انه لم يفقد شيئا ببقائه في  
البيت وهذا ما جعل الخطاب الذى ارسله ناظر المدرسة يظل  
سرا كبيرا •

لم انس بطبيعة الحال الافكار الغريبة التى جمعتنى  
اخذه الفكر فيها • فتجربتى معها عند البصيرة شجعت

اهتمامى بكلا الطفلين ، وكنت اتسائل عما اذا كان ضمنا  
سبب ذلك •

كانت هناك اوقات لا استطيع فيها ان اقاوم ابتداء حبى  
لهما ، لكننى دائما كنت اخاف بمصر الطيرة عن فعل ذلك ،  
فربما يلاحظان الشفقة التى يتضمنها هذا الحب • واكتشفت  
صدفة ملائمة اتماق سرى بينهما : فعلى حين يقوم احدهما  
بشغفى يتسلل الآخر اسى لخارج • لكن فى معظم الأحيان  
كنت اتواجد مع كليهما ، ولم يحدث أى شيء غير عادى •

على الاقل لم يحدث شيء غير عادى لمدة تزيد على  
ثلاثة اشابيع • ثم حدث ذات مساء ان شعرت بلمسة  
باردة غريبة فى اجبتي ا

كنت فى حجرة النوم التى اشارك فيها فلورا ، لكننى لم  
اكن قد ذهبت اسى انفراش بعد • كان الصباح مضيقا ، وانا  
اجلس على كرسي مريح ، اقرا • فقد كانت فى « بلاى »  
حجرة مليئة بالكتب القديمة ، كثير منها كان معنوخا من  
دخول بيتنا لهادىء ولذا فقد اثارى فضولى • وانكر ان

نظر الى يتفلس النظرية التي تظر بها الى من فوق البرج  
ومن خلال النافذة . عرفنى تماما مثلما عرفته . ووقفنا  
وجها لوجه تحت ضوء القمر البارد . وفي هذه المرة تعرفت  
عليه تماما ككائن حي كريب وعدو خطير . لكن لم يكن ذلك  
هو الشيء الغريب فى لقائنا ، انما الأقرب من ذلك هو اننى  
لم اشعر بأدنى خوف .

لقد أصابنى بالطبع الكثير من الألم والانزعاج بعد تلك  
اللمحة الأولى ، لكن شكرا لله على اننى لم أضمحل بالخوف .  
وعرف اننى لست خائفة منه . ولم أكن أظن فى نفسى أبدا  
ان أكون يمثل هذه انشجاعة الفانقة ، وكل ما اعتقده ان  
هناك مؤثرات أخرى تفرقت على مشاعرى العادية . وتأكدت  
اننى لو وقفت أمامه بحزم ، فلن يصيبنى بأذى . وبينما  
كنت ألك هناك ، بدا لى الأمر وكأنه لقاء بأنسان مرعب  
أو مجرم أو شخص مجنون خلال الليل وفى بيت أهله ينام .  
وبو كنت تأملت مجرما فى نفس المكان ونفس التوقيت ،  
لكننا تبادلنا الكلام على الأقل مع بعضنا . لكن كوينت وأنا  
كنا صامتين ، وهذا هو الجزء غير الطبيعي فى لقائنا .

الكتاب الذى كنت اقراه كان بعنوان « كلاج اميليا » وأذكر  
كذلك ان الوقت كان متاخرا جدا ، لكنى كنت يفتة تماما .  
وكانت فلورا نائمة بالطبع منذ عدة ساعات فى سرير صغير  
بجوار مسريرى ، وكنت قد أمسكت مساتر السرير  
( الناموسية ) ورسم اننى كنت حشودة تماما الى الكتاب  
الا ان قوة شديدة جعلتني اطلع فجأة الى باب خرفتى .

انصت للحظة ، متذكرا الأصوات التى سمعتها فى الليلة  
الأولى لوجودى فى البيت . نحيث الكتاب جانبا بحرص ،  
وانتقلت المصباح وخرجت بهدوء من الغرفة وأغلقت الباب  
خلفى .

ودون أن أعرف لماذا ، سرت مباشرة عبر الممر الى  
اسافذة الطويلة الموجودة بأعلى السلم . وعندما وصلت  
اليها ، حدثت ثلاثة أنبياء دفعة واحدة . هبة ريح فجائية  
أطافت المصباح الذى فى يدي . ضوء القمر المستقيم  
يخترق النافذة ، ولا حثت وجود شخص على بسطة السلم .  
عرفت فى الحال أنه كوينت . وكان تقريبا قد وصل الى  
النافذة ، ولكن عندما رأتى توقف .

لم نتكلم أو نتحرك قيد أنملة ، ومر الوقت بطيئاً .  
لا أستطيع وصف ما حدث بعد ذلك ، فيما عدا أن الشخص  
استدار وبدأ يختلج داخل الصمت ذاته . رأيته يستدير  
بوضوح ، بالضبط وكان كوينت خادم حى ، أصدرت له  
أمرًا بالانصراف . وسرت عبر بسطة السلم فى الظلام .

- ١٠ -

استغرق الأمر منى عدة لحظات لأدرك تماماً أن زائري  
قد اختفى . بعدها عدت الى حجرتى .

أضأت المصباح ثابتة فرائت على الفور سرير فلورا  
الصغير خاليا . كانت الستائر ( الناموسية ) مسدلة حوله ،  
لكننى استطلعت أن أرى من خلال قماشها الخفيف أن الطفلة  
ليست متواجدة فى السرير . فى تلك اللحظة انتابنى الخوف  
حقيقية !

التفت بسرعة ناحية صوت صدر من ناحية النافذة  
ولشد ما ارتعت عندما ظهرت فلورا من خلف الستائر .  
كانت تقف هناك فى قميص نومها ، تظهر قدميها الصغيرتان  
من تحته . بدت جادة جدا . وعندما تحدثت الى ، فقلت

في التوكل المميزات التي كسبتها من مقابلتي الأخيرة مع  
كويت ، وأحسست بالخسارة بعداً .

سألتني : أين كنت في ذلك الوقت المتأخر من الليل ؟

وبدلاً من سؤالها عن سبب تركها لسريها وذهابها  
إلى النافذة ، أخذت أبرد بها سبب غيابي ، ولم يكن ذلك  
بالشئء النهر . أما همسي فقد بررت تصرفها ببساطة  
وبحماس . فلقد اكتشفت فجأة ، وهي رائدة هناك ، أنني  
خارج الغرفة ، فلهضت لقرى ماذا حدث لي .

في ذلك الوقت كنت جالسة على مقعدى ثانية ، فأتجهت  
ناحية مباشرة ، وجلست على ركبتي ، وانمكنت ضسوء  
المصباح على وجهها الجميل . سألتها : هل اعتقدت أنني  
كنت أتمشى في الحديقة ؟

ابتسمت لي : حسن ، ظننت أن هناك شخصاً ما  
قال ذلك وكان نظرها مثبناً على .

ـ وهل رأيت أحداً ؟

فاجابت ببساطة : « أوه ، بالطبع لا . »

في تلك اللحظة كنت في غاية القلق ، وتأكدت بكل صدق  
أنها كذبت علي . أغلقت عيني لكي أقاوم الفكرة التي  
داهمتني فجأة . لماذا لا أخبرها قوا أنني أعرف سرها ؟  
لماذا لا أقول لها : « لقد رأيته ، أنت رأيته ، وأنت تشكين  
في أنني أعرف ! فلماذا إذن لا تخبريني بكل شيء ؟ لو أنك  
قلت لي ، فيمكنك إذن أن نشترك في المشكلة . بل ويمكنك  
أن نعيش سوياً هذا الشيء المزعج ، وربما نتمتع معي قدرنا  
الغريب ؟ »

لكنني لم أستطيع قول ذلك . وهكذا واصلت معاناتي .  
وقفت واتجهت ناحية سريها وسألتها : « لماذا أسسدت  
سقائر السريير ، الناموسية ؟ مرة ثانية ؟ حتى تهبطيني  
أخيراً أنك ما زلت في السريير ؟ »

فكرت فلجروا في ذلك ثم قالت بإبتسامة : « لأنني لم أريد  
أزعاجك »

ـ لكنك كنت تظنين أنني قد خرجت .

لم يصحبها أي تسرع من الحيرة . ونظرت إلى لهنب



المصباح وأجابني بسهولة : أراه ، نعم فقد كان من المحتمل أن تعودى ثانية ، وما أمت قد عدت !

ثم ذهبت إلى العراش ، وجلست ، ما إلى جوارها لفترة ، أمسك يدها حتى راحت في النوم أخيرا .

ولك أن تتخيل ما شعرت به ، خلال الليلي الثانية منذ ذلك الوقت . كنت أبقى حثيظة حتى لا أقوى على فتح عيني وكنت أحتار اللحظات التي تكون فيها فلورا مستغرقة في النوم وأخرج إلى الممر وأسير فيه بهدوء حتى أصل إلى النافذة حيث قابلت كوينت . لكنني لم أقبله هناك مرة ثانية ، وكنت أقول لنفسى ربما لن أراه مرة ثانية أبدا في هذا البيت .

مكن ذرت ليله ضاعمت حتى هامة محتلفة على بسمة السلم .

كانت مشائر النهار قد سميت بالفعل وظهرت من خلال المائدة . وتطلعت إلى أسفل وعلى الفور تعرفت على ملاح سيدة تحلس عى درجة من سرجات لسلم السفلية وظهرها

لى . كان جسدها منحيا إلى الأمام وتمسك رأسها بين يديها . تسلعت إليها للحظة قبل أن تجتمى دون أن تلتفت حولها . لكننى كنت أعرف أى وجه مرعب كنت سأراه لو أننى كنت فى أسفل ، وتساءلت عما إذا كنت من أحاف منها مثلما حدث لى مع كوينت .

ومرت الأيام والليالى . وفى الليلة الحادية عشرة بعد مقابلتى الأخيرة مع كوينت ابتأبى شيء من الحواف ، لأن ما حدث شيء لم أكن أتوقعه ، وصدمنى بعضه .

كنت مجهدة جدا حتى اننى نمت مبكرة على غير العادة لكن فى حوالى الواحدة استيقظت فجأة ، كما لو أن أحدا مزنى بيده ، فقممت جالسة فى السرير . فوجدت المصباح الذى تركته مشتعلا قد انطفأ فى تلك اللحظة ، وأهسمت أن فلورا هى التى أطفأته بالتأكيد . نهضت وذهبت إلى سريرها فى الظلام . كان السرير خاليا . أشعلت عود ثقاب وأمكننى رؤية شبحها خلف ستائر النافذة .

لقد تركت الطفلة سريرها ، وأصفاة المصباح ، واتجهت

ناحية النافذة لتتطلع الى الخارج . لم تزعجها حركتى على الإطلاق . لقد كانت محتببة ومحتمية خلف الستائر ، كان من الواضح ان شيئاً ما بالخارج يجذب انتباهها . وكان لسطوع القمر كاملاً ، أثر في مساعدتها على ذلك ، كما أنه يهين الى شيء ما . من المحتمل انها تواجه الآن تلك المرأة التى قابلناها عند البحيرة وجها لوجه . كان مدار فى ذهني ان اغامر الصخرة فى هدوء دون ان ازعجها . وأطل من نافذة أخرى يمكننى من خلالها ان أرى نفس المنظر . وصلت الى الباب واغلقت خلفي ، واخذت أنصت من الخارج لاي صوت يصدر عنها . لكننى لم اسمع شيئاً .

وبينما كنت اقف فى الممر تطلعت الى باب حجرة نوم مايلى الذى كان قريباً مني . هل ادخل مباشرة واتجه الى نافذته ؟ لكنه سيخمن بالتأكيد سبب تطلعي من النافذة ، وربما يساعد ذلك فى حل اللغز ؟ . اتجهت الى الباب وتوقفت قليلاً . ربما يكون هو الآخر يحتفظ بسر التطلع من النافذة . لم يكن هناك لى صوت فى الصخرة ، ربما يكون مستغرقاً فى النوم . كانت المخاطرة بأزواجه كبيرة . لذلك لقد تراجعت .

كنت على يقين بان هناك شخصاً ما فى الحديقة ، زائر كانت فلورا تمطيه كل اهتمامها . لكنه يصير ، الزائر الذى يهتم بهمايلى . كان هناك العديد من الغرف الخالية فى « بلاى » . وكان من السهل العثور على حجرة ذات نافذة تطل على نفس المنظر مباشرة . وكانت الصخرة الصقلية فى البرج القديم قريبة جداً مني ، فالتجعت مباشرة اليها . ففى تقاسب غرضى تماماً .

كذبت حجرة كبيرة مربعة لم تستعمل منذ عدة أعوام لكن السيدة جروز كانت رغم ذلك تقوم بتنظيفها ، ومغروشة بعناية كحجرة نوم . كنت دائماً معجبة بها وأعرف طريقتي اليها بسهولة . دخلت للصخرة وتوجهت الى النافذة حيث أصبحت الحديقة تحت ناظري .

كان ضوء القمر يجعل الرؤية واضحة بشكل غير عادي . نصرت من النافذة ورأيت شخصاً يقف فوق العشب بين صفتين من اشجار طويلة . وبدأ حجم الشخص صغيراً من على بعد . كان يقف ساكناً هادئاً ، يتطلع الى اعلى

انبرج الموجود فوقى . وذهبت فى الحال أن هناك شخصا  
 آخر فى البرج ، شخصا ما كان يقف فى المكان الذى رأيت  
 فيه كوينت أول مرة . لكن الشخص انوقف فوق العتب  
 لم يكن كوينت ولا الأنسة جيزين . وعندما اكتشفت الحقيقة  
 اهتست بانسك لم كان الشخص الذى كان ينظر الى اعلى  
 من الحديقة هو مايلز نفسه !

- ١١ -

وعلى الغور هبطت السلم وخرجت الى الحديقة .  
 وعندما ظهرت فى ضوء القمر ، اتجه مايلز الى ، وأمسكت  
 بيده . ودون أن انطق بكلمة سرت به عبر الممرات المظلمة  
 حتى وصلنا الى بسطة السلم التى مبر فيها كوينت من قبل  
 لاجله . وتوجهما الى لغرفته ، حيث انبأب لذى وقفت عنده  
 انصت وأرتعد .

خلال سيرنا كنت أسأل نفسى عن المبررات التى  
 سيفقدنها . لابد أن تكون أشياء لايمكن أن أصدقها . لقد  
 ارتكب خطأ بتركه المنزل فى منتصف الليل ، ولايستطيع أن  
 يدعى ذلك مجرد لعبة . فى نفس الوقت كانت تواجهنى صعوبة  
 أنا أيضا .

فمذ الآن وصاعدا سيعرف مايلز أننى كنت أراقبه ،

وتساءلت عن النتيجة التي يمكن أن تحدث بناء على تلك المعرفة .

دخلنا إلى حجرته . لم تكن المستأثر مسددة . وضوء القمر ينير المكان ، ولم تكن بي حاجة لأشغال ثياب كان فرش السرير مرتباً مما يؤكد عدم استعماله عسى الاطلاق . جلست على طرف السرير . وقلت :

ـ يجب أن تخبرني بالحقيقة يا مايلز . لماذا خرجت ؟ ماذا كنت تفعل هناك في الحديقة ؟

كانت هذه أسئلة حادة جداً ، وعندما طرحتها عليهِ ، كنت أعلم أن باستطاعته أن يقول لي أي شيء يريد . أما إذا اعتبرت المسألة مجرد مظهر من مظاهر سوء السلوك ، فإن مايلز لن يفضلي شيئاً بعد ذلك . لكن لم يكن في استطاعتي تماماً في تلك المرحلة إلا أن اعتبر الأمر كذلك . وكان من المستحيل بالنسبة لي ، أن أشير إلى موضوع كويت إلى طفل مثل هذا في حجرة نومه وفي الساعة الواحدة صباحاً .

مازلت أذكر استماعته اشرقة ، وعينيهِ المصافيتين ، وصوته الهادئ عنهما قال : « لو انني قتلك عن السبب ، فهل ستقديري المرفقه » .

وكأن قلبي يقفز إلى لساني . أيقول لي عن السبب ؟ ولم استمع قول أي شيء ، لكنني أجبت بحركة من رأسي .

قال : « حسن ، لقد خرجت مدتي تعتقدي ، لمجرد التعبير بأفني كنت ولداً سيئاً » .

قل ذلك بكلمات حلوة مرحة ، ثم اسكني إلى الامام وقبلني . كان ذلك نهاية كل شيء بالنسبة لي تقريبا . لم استطع أن أصرح عليه المزيد من الأسئلة .

كان تبريره كاملاً وتاماً ، ولم يعطني أي فرصة للمناقشة على الاطلاق ، بذلت جهداً كبيراً حتى لا أنكي . ونظرت إلى أرجاء الحجرة ، وقلت : « أنت لم تعبر حلابسك » .

ـ كلا ، فقد كنت جالساً اقرأ .

ـ وحتى نزلت إلى الحديقة ؟

- في منتصف ايليل • عندما اكون سينا ، اكون سينا بدق •

- امهم • لكن كيف كنت متأكدًا بأننى سأبحث عنك ؟  
وكانت اجابته حاضرة • ، لقد رتبت ذلك مع فلورا ،  
اذ كان صيها ان تنهض وتتطلع من النافذة •  
- هذا بالضبط ما فعلته •

- وبالتالي ازعجتك • فنهضت لتعرفنى الى ماذا  
تنظر ، بعد ذلك رايتنى فوق العشب !  
- أجل ، فوق العشب حيث كان من المحتمل ان تصاب  
بالبرد !

فانقسم وقال : « وذلك ما يجعلنى أسوأ » • أليس  
ليس كذلك ؟  
- نعم ، اعتقد ذلك !

- لكن ارجو ان تفكرى فيما يمكن ان افعله !  
عندئذ تركته وعدت الى حجرتى ، حيث كانت فلورا  
قد عادت الى سريرها ونامت • وذهبت الى سريرى ايضا

لكنى استيقظت متيقظة مدة ساعتين أو ثلاثة ، افكر فى  
ذلك الواقعة •

لم تتح لى فرصة عاجلة لاحبار اسبدة جروز بذلك  
الموضوع • ذلك اننى احكمت مراقبتى للصبيان لدرجة انه  
كان من الصعب ان اقابلها وحدها • وشعر كلانا انه من  
المهم جدا الا نظهر من خلال تصرفاتنا اننا منزعجان  
لذلك • عمما لاشك فيه ان الحدم والطفلين سوف يتأكدون  
بان هناك امرا ما ليس على ميرام لو راودا نقاش على  
افراد •

وكانت تصرفات لسيدة جروز الهادئة خير معين لى  
فى ذلك الوقت ، فم يكن يبدو على وجهها اليشوش أى  
ممنح من ملامح الخوف أو الانزعاج وأما على يقين انها  
سبقت كل شئ قلته لها • لكن لسوء لحظ كان لديها  
قصور فى خيالها • ولم تكن لتستطيع ان ترى فى الطفلين  
الا جمالهما واشراقهما واجتهادهما • وكانت مشاعرها  
تعتمد فقط على مستشبع رؤيته • وبالتالي فلو ان كوينت  
والآنسة جييزين كان لهما تأثير واضح على مايلز وفلورا

فلم تكن السيدة جرور لتستطيع أن تلمحظه بالطبع ، والا  
لكان سلوكها قد تشير .. لقد عرفت ماكانت تفكر فيه ،  
لقد كان كل ما تستطيع أن تفعله هو أن تمد ذراعيها  
البضاوين أمامها وتنظر الى الطفلين في هدوء وتقول  
لنفسها : « حسن ، حتى لو تحطمت طيبتهما ، فإن شظايا  
هذا التحطم ستهدو لى على مايرام » .

وبمرور الوقت ، دون وقوع أى حادث له اثره ، فقد  
قررت أن الطفلين يمكن أن يقوموا برعاية نفسيهما ، وكurst  
كل عواصفها الآن لئلا الحالة الحزينة التى انتابت  
مريبتهما .

فى مساء اليوم التالى أخرجت مقعدين الى الشرفة  
الموجودة أمام الباب الخارجى ، ودعوت السيدة جرور  
لمجلوس معى . كان هايلز وغلورا يقرآن فى احديقة على  
مبعدة قصيرة منا . نظرت اليهما كما تفعل عادة ، ثم  
لتفتت الى كما لو كان من واجبها أن تحاول رؤيتهما ل  
رايتهما اتا . كانت على استعداد لسماع آخر أخبارى .

أخبرتها بكل ماحدث فى الليلة السابقة . وفى النهاية  
قلت لها : « أن كلماته الأخيرة لى ، هى أهم الكلمات  
حيثما يطبع فقد حسنت اوصـوع حقيقة » . فقد قال :  
أرجو أن تفكرى فيما يمكن أن أفعله » قال ذلك ليبيين لى  
أمة هى أحسن أحواله الآن . وهو يعرف تماما ماذا « يمكن  
أن يفعل » . ولمنظر المدرسة يعرف ايضا . وذلك هو السبب  
فى طرده من المدرسة .

فصاحت السيدة جرور : « س . فقد عبرت من رأيك »

— كلا ، أنا لم أعبر وأيس .. لكسى بدأت أهم أكثر  
الآن . أن هايلز وغلورا يقابلان كويست والأنسة جيزيل  
بصفة دائمة . ويمكنك التاك من ذلك . ولو أنك كنت مع

أحد لطفين هي تلك البياض الماضية، ثم كنت أدركت ذلك أيضا .  
وانشء احدى يجعلني متأكدة تماما هو صمتها التام .  
فلم ينطق أحدهما بكلمة أبدا عن كوينت أو الآتية جيزيل .  
كما أن مايلز لم يتحدث إطلاقا عن مدرسته أو عن السبب  
في طرده . ولعريب جدا لآ أن الطفلين يلتزم من الصمت  
التم بخصوص أمور أو أناس يعرفان عنهم كل شيء .  
أوه . من الممكن بالطبع أن نجلس هنا ونطلع اليهم  
ويعتقد أنهما على مايرام . لكن الحقيقة هي أن مايلز لا يقرأ  
لعبورا ، وأنت تعرفين ذلك . هو يتظاهر فقط بالقراءة  
أنهما يتحدثان من صديقيهما الخيتين ، للذين عادا إليهما !  
انه يحكي لها عما رآه الليلة الماضية . أنا أعرف أنني  
اتكلم كما لو كنت امرأة مجنونة . لكن الأشياء أتت  
رائتها جعلت الأمر راصحا تماما بالنسبة لي ، وجعلتني  
أفكر في أمور أخرى كذلك » .

• ثم تعرف السيدة حروز ماذا تقول . وأتت بصحرا  
على الطفلين كما لو كانا سبندها . ثم قالت : « ما هي  
الأشياء الأخرى التي فكرت فيها ؟ » .

لأجبت : « إنها تلك الأشياء التي اسمدنتي وشغفت  
بها ، وهي تدس أوقات هي الأشياء التي حيرتني وأتعبتني .  
ذلك لجمال الغائق الذي يتسم به الأطفال ، وذلك الأدب  
والسلوك لزانة من الحد ١٠٠ » .

ضحكت وتوقفت ، ثم وأصابت كلامي : « اعتقد أنها  
لحبة ، خلة لخداها » .

نظرت مدشرة الى الطفلين وقالت : « هل تعين انهما  
يعداننا ؟ »

— نعم ، رغم أنهما مجرد طفلين ، وذلك بتلصيط  
ما أعنيه ، وأنا أعرف أن ذلك يبدو نوعا من الجحور .  
كان من السهل أن تتعاش معهما ، لأنهما ببساطة يعيشان  
حياتهما بطريقتهم . انهما لا يخصصاني . لا يخصصنا .  
هما يخصصانه ويخصصنا !

— تعصدين كوينت وتلك المرأة ؟

— نعم ، الصغار يودان الذهاب إليهما .

هناك السيدة جروز : « لكن لماذا يودان الذهاب  
إليهما ؟ »

— لأنهما يحبّان تلك الأفعال الشريرة التي علمها لهما كرينت وتلك المرأة في تلك الأيام المزجة . ثم عاد الاثنان ليطلعاها المزيد ، ليواصلا عملهما الشيطاني !

أثرت الى . ويبدو ان الذكريات أضاءت وجهها . لم تترسخ على كلماتي وقالت : نعم ، لقد كانا زوجا من الشياطين قسلا ! لكن ماذا بإمكانهما ان يفعلا الآن ؟ فكلامهما ميت !

— ان يفعلا ؟ !

قلت ذلك بصوت مرتفع حتى ان مايلز وقلورا التفتا اليّنا . بعدها قلت بصوت هادئ : « لم يفعلا ما فيه الكفاية ؟ ان بإمكانهما ان يحكما لهما ! »

وبدا من الواضح أنّها لم تفهم ذلك ، لأنها لم تقبل شيئا . توقفت لحظة ثم وأصنعت كلامي : « في تلك الأيام الماضية ، لم يكن كرينت والمرأة يعرفان الى أي مدى يمكن ان ينجا ، لكنهما كانا يحاولان جهدهما . وفي الوقت الحالي يظهران للطفلين من على بعد ، في الأماكن

المفتوحة ، خارج اسعده ، فوق قمة البرج ، على الجانب الآخر لمبصرة . وخطتهما ان يقربا المسافة ويتغلبا على كل الصعاب . والمفلان شغوفان بمساعدتهما ، وهكذا فان نجاح عديدين الشيطانين انما هو مسألة وقت فقط . ولسوف يواصلان ذلك بيوحيا بأن الشر والخطر وشيك الوقوع .

— وهل تعتقدان بأن الطفلين سيذهبان اليهما ؟

— نعم . وسنكون تلك هي النهاية !

هضمت السيدة جروز بيمل ، فاضطت قائلة : الا ان ستطعننا منهن بالطنع !

وبدأت تقلب المسألة في رأسها وهي واقفة أمامي ثم قالت :

— « يجب ان يسمعهما عموهما . ينبغي ان يأخذهما بعيدا عن هنا » .

سألتها : « ومن الذي سيجعله يفعل ذلك ؟ »



— أنت ، يا أنيسة ؟

— كيف ؟ بأن أكتب له رسالة أقول فيها أن بيته مسمم بأشياء شرييرة وأن ابن وبنت أخيه شرييران أيضا ؟

— لكنك تقولين أنهما كذلك ، يا أنيسة !

— ستكون هذه أخبار مزعجة ، حتى نبحث بها إلى شخص وضع ثقته في . وتذكرى أنني وعدته مخلصه بالأزمنة .

قبرت السيدة جروز الموقف وقالت : « أجل ، أعرف أنه يكره الأزواج » وذلك هو السبب في ... »

— في أن كوينت والمرأة قد خدعاه لفترة طويلة ؟  
أجل ، كنت أشعر بذلك . لكنني لن أخدعه !

— هل في إمكانه أن يجعله يحضر إلى هنا ، من أجله ؟

— من أجلى ؟

ولماعة خشيت مما يمكن أن تفعله .

— مع . ينبغي أن يحضر إلى هنا . ينبغي أن يحضر لمساعدتك .

فذهبت بسرعة وقلت : « كلا ، إن أطلب منه أن يحضر لزيارتنا . فلنستوفى بضمك من أفكارى ويسحر من صغفى . وبالإضافة إلى ذلك كله ، سوف يعتقد أنني تعبت من وجودى وحدى ، وأنى قد اخترعت هذه الأشياء حتى أجعله يحضر إلى هنا » .

فلا أحد كان يعلم . ولاحتى لسيدة جروز . كم كنت لخورة حتى اليوم بخدمته . وكم كنت مصممة على الالتزام باتفاقنا . لذا فقد فكرت أنه من الضروري أن أحذرهما فقلت لها : « إذا كانت الحماقة قد وصلت بك إلى الصمد الذى تطالبين منى أن أجعله يحضر إلى هنا من أجلى ... »

فارتعبت حقيقة وتساهلت : « نعم ، يا أنيسة ؟ »

— فلنأيد أن نأادر « بلأى » على الفور وبلا رجعة !

خلال اشهر التالي رادت احدى مشاكلنا واصبحت  
اكثر سوءاً فلم أعد أستطيع الكلام مع الصديق بمثل تلك  
السهولة (نتي كانت تحدث من قبل .

فخلال مناقشتنا اُسمع هناك موضوع لانستطيع  
الاقتراب منه يمثل جدار جيباً ، وكان الطفلان على وعي  
تام بذلك نفس القدر الذي أعياه أنا . وعندما كنا نقرب  
من هـد الجدار أثناء كلامنا ، كب نقول فجأة ، ويبتعد  
كل منا عن الآخر .

كان الموضوع الموعود الكلام فيه هو كل ما يتعلق  
بحياة الصديق قبل ان أحضر الى « بلاي » ، ومدرسة  
مايلز ، وبصفة عامة كل كلام يتعلق بالموت أو عودة الموتى

•• ولا اعتقد اننا استطعنا ان نتجنب هذه الموضوعات بنجاح كبير دون اعداد ترتيبات جنية بشكل كبير •

ورغم اننى لم اتعرف على اى شيء من حياة الطفلين الماضية ، فقد كانا شغوفين جدا لمعرفة كل تفاصيل حياتى الخاصة ، وان اتحدث اليهما عن طفولتى وبيتى الذى كان خارج نطاق مشاكلنا الحالية •• وقبل ان ينتهى الشهر كانا يعرفان كل شيء حدث لى واخواتى واخواتى حتى ماحدث بقطتنا وكلينا • تحدثنا عن عادات ابنى المسلمية ، وعن ترتيب الاثاث فى بيتنا ، وعن عجز قرينتنا واحاديثها •• كان لدى الكثير لأقوله ، وكان الصعلان يشجعانى على تذكر كل تفصيلة صغيرة من تفصيلات الماضى •

وبعد ذلك ، عندما كنت الفكر فيما كان يحدث فى هذه المناسبات ، كنت أحس بالثقل فى نيتهما ، وأحسست بأنهما كانا يراقبائى طوال الوقت فى صرية •

وهكذا مرث الأيام ، ولم أجد ارى ايا من كوينت أو الأتسة جيزيل • رغم وجود أماكن عظيمة مهددة فى

بلأى • كنت أتوقع ظهور كوينت فيها ، كذلك فقد كانت هناك مناسبات عديدة ملائمة لظهور الأتسة جيزيل مرة ثانية • وادتهى فصل الصيف ، وانعكس لون السماء الرمادى على المكان كله •

كانت لصديقة سمراثا الخالية ، والأوراق الجافة المتناثرة فى كل مكان ، بمثابة مسرح حال بعد انقضاء العرض • بمعنى أن الظروف كانت مهيأة تماما لعودة زوارنا ، وكان فى أمكانى أن أعرف المكان وفى أى وقت من اليوم ، وأين يمكن أن نتقابل • لكننى لم أرى شيئا لا فى داخل البيت أو خارجه ، لم أكن أرغب فى رؤيته •

من الغريب فعلا قول ذلك لكننى كنت متزعجة الى حد ما من عدم ظهور كوينت والأتسة جيزيل مرة ثانية وأرجعت قششى فى عدم رؤيتهما ربما بسبب فقدانى لقدرتى على رؤيتهما • وعندما عبرت عن مخاوفى للسيدة جروز ، فيما يتصل بالأتسة جيزيل حيرها ذلك ، لكننى لم أفصح عنها • أما عن الحقيقة فكانت كالتالى : أنه لم يثبت بعد بالتأكيد أن ابطلين استساعا حقيقة رؤية كوينت أو الأتسة

جيزيل ، كما رأيتهما أنا ، وحتى التأكد من ذلك ، فقد فضلت أن تكون لدى صورة كاملة عن الموضوع كله . فقد كنت أريد أن أرى وأن أعرف أمورا ما يمكن رؤيته أو معرفته في « بلاى » .

أما عن الوقت الحالي فلم يظهر الى الآن شيء . يمكن رؤيته . وودت أن أشكر الله على كرمه ، لكن كانت تحول دون ذلك عقبة واحدة . فكم كنت أود أن أشكره من صميم قلبي لو تأكدت تماما من أن الطفلين لا يشاركانى هم ذلك السر .

كيف يمكننى أن أصف اليوم المراهل التى تطور بها هذا الاحساس فى ذهنى ؟ كانت هناك أوقات كنت على استعداد لأن أقسم بأن كوينت والأسة جيزيل كانا معنا فى حجرة الدراسة . وفى أوقات أخرى لم يكن فى مقبورى أن أرى زائرنا ، بل أحس بوجودهما فقط . أحيانا كنت أود أن أصرخ : « انهما هنا ، انهما هنا ، لابد أن يعترفوا بذلك الآن ! » لكن صرخة غضب مثل هذه ، قد تسبب من الضرر أكثر مما هو خير ، وبالتالي لم أقل شيئا . كما أن الطفلين لا يمتثلان بأى شيء كذلك .

لقد صدمت بشدة عندما اكتشفت وجود ما يلز فى الحديقة ، ينظر الى قمة المبرج ، فى الساعة الواحدة صباحا . والهمنى هذا الاكتشاف بفكرة جديدة ، وذات مرة أو مرتين كنت أن أواجه الصبي بالسؤال مباشرة . كنت أخلق باب حجرتى على نفسى لأفكر فى أفضل سبيل لطرق الموضوع . لكننى دائما كنت اتخلى عن التفكير فى المشكلة عندما أتيقن أنه يتحتم على ذكر الأسماء . كانت هذه مشكلة لطيفة للغاية ، لقد كان نقاشى مع نفسى ينتهى دائما بهذه الكلمات ، « ان الطفلين على قدر كبير من الأدب بما يسمح لهما بأن يظلا صامتين ، لكن أنت ، مربيتهما الوثوق فيها ، أسلوبك سيء فى الكلام » . وكان وجهى يحمر من الانفعال ، وسرعان ما أطرح نفسى فى الفراش .

بعد هذه المشاهد الخاصة ، أخذت اتحدث الى تلميذى بحرية على قدر ما أستطيع . وسارت حياتنا بشكل هادئ حتى . . حتى شعرت ثانية بذلك الجمود الغريب ، ذلك الصمت . لكنه لم يكن صمتا ولا سكوتا . . كان يتجسد فى الحقيقة على هيئة ضحكة عالية ، أو مناقشة حامية ،

أو عزف نغمة موسيقية بطريقة حادة . وعرفت بعد ذلك أن كوينت والآنسة جيزيل كانا موجودين لكن دون أن يראهما أحد . واضطربت خوفاً من أن يجدا سبيلاً لارسال بعض لرسائل المزججة التي اضطلعن دون علمي .

كان أسوأ ما أحسناه في التحقيلة ، أنهما قد يكرنا رأيا أكثر مما رأيتنا أنا ، رأيا أشياء سيئة لم أستطع أنا حتى أن أتخيلها . ولاشك أننا كنا جميعاً ينتابنا شيء من الخوف أحياناً ، وكنا نبذل جهداً في إطفاء ذلك .

وحتى تضع نهاية لهذه الأوقات العصيبة ، كان الطفلان يقلاننى ، وكان أحدهما أو الآخر يوجه الى السؤال الأثير . وكان ذلك السؤال هو الذى يساعدنا فى التغلب على الكثير من هذه اللحظات المتجمدة : « متى تعتقدين أنه سيحضر ؟ » ، أنه هذا ، « كان بالطبع عنهما الذى يقطن فى شارع هارلى ، وكنا نعيش على أمل أنه قد يحضر فى أى لحظة . ولم يحدث أبداً أن قال أو كتب كلمة تدعم هذا الاعتقاد ، بل أن ذلك لم يخطر على باله إطلاقاً .

ولا اعتقد أنه نكتب للطفلين أبداً . ربما تكون هذه إنانية منه ، لكنها بالنسبة لى نوع من الثقة الثامة فى . وفى مقابل ذلك فقد حملت مسئولية اتفاقنا كامسة ، وسم أكتب إليه . . . وقلت لتلميذى أن خطاباتهما له ستكون مجرد تمرين مفيد فى قواعد اللغة الانجليزية . وأضفت أن خطاباتهما كانت فى منتهى الجمال حتى نشوه بحاتم البريد . واحتفظت بها جميعاً لنفسى ، ومازالت لدى حتى اليوم .

وعندما أعود بفكرى الى تلك الأيام انغريبية ، تصيدى الدهشة ، لأننى لم أفقد صبرى مع الطفلين . فقد أحسست يقيناً أنهما يقدماننى ، ورغم ذلك مازلت أحبهما ! ولا أستطيع القول كم سيطمر ذلك الشعور ، حتى لو لم أصل الى نوع من الراحة . وأنا أطلق عليها راحة ، لكنها كانت ذلك النوع من الراحة التى تأتى طرفة واحدة عندما تشيق الأمور . . . وأخيراً حدث التغيير وجاء بكل اندفاع وقوة !

في صباح يوم احد كنت انا ومايلز في طويقتنا الى الكنيسة . وكانت السيدة جروز وقلودا الى جانبها تتقدمنا

كان يوما باردا لا سمحاً فيه كان يوما من تلك الايام الاولى التي تنبئ بقدوم الشتاء .

كنت افكر في حذو سمادتي بأن التلميذين كنا مثالا للأطفال المطيعين . كنت الازمهما طوال اليوم ، وكل يوم فلماذا اذن لم يتبرما من ذلك ؟ ومايلز على وجه الخصوص ربما يفكر الانسان - قد يكره ان يكون مراقبا من قبل مربيته طوال الوقت . فقد كنت بمثابة حارس مكلف بحراستهما لمنع اى أحداث مفاجئة أو محاولة للهروب .

كان مايلز يرادى افضل حالة ، صنعت خصيصا له



مقي ساعود الى المدرسة ٩٠٠

عند الحائك الخاص لعمه . وبدأ معتزلاً بنفسه وكأنه  
شاب ناضج يعتمد على نفسه ، وعلى رضى ثام يكافئه  
حقوقه وواجباته . لدرجة انني احسست لو انه فجأة  
مالبني بحريته ، فلن يكون بإمكانى ان افسول شيئاً .  
وللصدفة الغريبة كنت اتسامل في هذه اللحظة في كيفية  
مواجهة مثل هذا الموقف ! وتكلم مايلز ، وكنت انا على  
استعداد لمواجهة الموقف وجها لوجه .

قال بطريقته الجذابة : « اسمعى ، يا عزيزتى ، مقي ،  
ارجوك ، ساعود ثانية الى المدرسة ؟ »

والكلام الذى قاله وكما هو بدون هنا لا يبدو فيه  
اننى ضمر ، وقد قال مايلز الكلمات بطريقته اللطيفة ،  
وبصوته اللامبالي الذى كان دائماً حايجيب به على استلنى  
توقفت فجأة ، كما لو ان شجرة من اشجار الحديقة قد  
سقطت عبر الطريق . وتحققت على الفور بان هناك  
شيئاً جديداً بيننا ، وعرف مايلز في الحال اننى تحققت من  
ذلك . وعرف ايضا انه قد كسب نقطة ضدى ، لأننى في  
البداية لم استطع التفكير في شيء اقوله . . . وحقيقة كنت

بطيئة جدا في الرد عليه حتى أنه كانت لديه الفرصة ليواصل كلامه : « لا ترين ، أنه من اللطيف جدا ، أن يكون الإنسان بصحبة سيدة بشكل دائم ؟ »

وكان ينبغي على أن أكون حريصة فيما أقول . وأذكر أنني حاولت أن أضحك لكي أكمب بعض لوقت . لكنني اعتقد أنها كانت ضحكة غريبة وقبيحة . ثم قلت : « ودائما مع نفس السيدة ؟ »

لم يظهر أي تغيير في ملامح وجهه . لكن السر لم يعد سرا بعد . قال : « اه ، وبالطبع فهي سيدة رائعة ، لكن على أي حال فأنا أنسان . حسن ، فاضحح »

فأسقط في يدي وقلت : « أجل ، أنت أنسان فاضحح » . ولم أستطع التفكير في شيء آخر الموله أو الفعله .

ويبدو أنه عرف أنه قد أسقط في يدي فقال : « وبالتالي لاستطيعين أن تقولين بأنني لم أكن أنسانا جيدا ، هل في إمكانك ؟ »

كان الوضع سيكون أفضل لو أننا كنا واصلنا السير ،

لكنني لم أكن قادرة تماما على فعل ذلك . كلا ، لاستطيع أن أقول ذلك ، يا أميلز » .

— فيما عدا تلك الليلة بأحداث !

— « أو ؟ أي ليلة تلك ؟ »

— « عندما فزلت إلى أسفل ، وخرجت من البيت » .

— « أوه ، نعم » لكنني نسيت ، لماذا فعلت ذلك » .

— « نسيت ؟ » .

وكان في صوته رنة لوم خفيفة . وأكمل :

« حسن ، لقد فعلت ذلك ليجرد أن أريك أنني أستطيع فعل ذلك » !

— أجل ، هذا صحيح — أنت تستطيع .

— وأستطيع أن أفعله مرة ثانية .

— بالتأكيد تستطيع . لكنك لاترغب .

— كلا ، أنا لا أرغب في فعل ذلك ثانية !

بدأنا نواصل السير ، فأكمل كلامه : « إذن متى سأعود إلى المدرسة » .



سألته : « هل كنت سعيدا جدا في المدرسة » .

فكر للحظة : أوه ، أما أكون سعيدا بما فيه الكفاية  
في أى مكان !

فاجبته : حسن اذن ، مادمت تشعر بالسعادة هنا .

— « اه ، يكن ليس هذا هو الشيء الاساسى ، أنت  
بالطبع لم استطاعتك ان تعلميسى كثيرا ، يكن ،  
وتوقف . »

— حسن ، ماهو الشيء الاساسى ؟

— هو اننى ، أريد ان أعترف على مزيد من الحياة .

— فهمت ، فهمت !

كنا قد اصبحتنا في تلك اللحظة امام الكنيسة . وكان  
هناك العديد من الناس ، ومن بينهم بعض خدم « يلاى »  
يقفون عند الباب ، ينتظروننا لدخل . بدأت اصرع في  
الشيء . لقد كنت أريد ان ادخل الى الكنيسة قبل ان يستطيع  
قول أى شيء آخر . ففى الكنيسة سوف يلتزم الصمت

لمدة ساعة او تزيد وفكرت بسعادة في تلك الاضواء الخافتة  
بالداخل وتلك الراحة ونحن على مقاعدنا . كنت كمن يجرى  
في سباق بنوع من الضيق . وقيل ان تدخل الى فناء  
الكنيسة قال فجأة : أريد ان أكون مع الناس مطلقا أكون  
مع نفسى !

قفزت خطوة الى الامام وقلت : « ليس هناك الكثير من  
احثالك ، يا مايلز ! » ثم صرخت واضلعت : « هناك فلورا  
بالطبع ! »

— أتقارنين بينى وبين بنت صغيرة ؟

شعرت بالضعف : « بكنك تسب فلورا ، اليس كذلك ؟ »

فقال : « وانت ايضا ، يكن لو لم ، لو لم ، لو لم ،  
واخذ يرددها . وتصورت انه سوف يخبرنى ، لكنه لم  
يكمل تصورى . كانت السيدة جسرور وفلورا قد دخلتا  
الكنيسة ، وتبعهما الآخرون . وجدت نفسى انا ومايلز  
وحدهما بين القبور القديمة ضغط على ذراعى ، وثوقنا . »

— اهل ، اذا لم ..

تطلع حواليه فى المقابر . « حسن ، أنت ثمرين » وبعد  
مضى لحضة قال شيئا جعلنى اجلس لاستريح فوق اقرب  
مقبرة : « هل يفكر عسى فيما تفكرين فيه ؟ »

« وكيف يتسنى لك أن تعرف ما أفكر فيه ؟ »

« أه ، بالطبع أنا لا أعرف » فانت لم تخبرينى  
قط . لكن ما اقصد هل هو يعرف ؟ »

« يعرف ماذا ، يا هایلز ؟ »

« أننى لم أهد الى المدرسة منذ الاجازة . »

« أنا لا اعتقد أن عملك يهتم بذلك كثيرا . »

« ادس . لا أعتقد أننى يمكن أن نصله يهتم »

« كيف يمكننا فعل ذلك ؟ »

« بأن نجعله يحضر الى هنا ! »

« ومن الذى سيجعله يحضر الى هنا . »

« أنا ! »

قال انصبى ذلك بكل تصميم ومضى مبتعدا عنى ودخل  
الكنيسة . . .

- ١٥ -

لم يكن باستطاعنى ابدا أن اتبعه . فجلست هناك فوق  
القبر أحاول فهم معنى ما قاله لى . « تحيرت فى تفسيره  
لمدة طويلة حتى أننى سم استطع أن اذهب الى الكنيسة  
على الاطلاق ، لكن بمرور الوقت وضح لى ذهنى كل شيء  
وكذلك المبررات التى يمكن اقدمها . فمن الممكن أن أقول  
أننى لم ادخل الى الكنيسة بسبب تأخرى جدا . ولايصح  
للمربية أن تكون قدوة متلاميذها فى التأخير . »

كان من الواضح بالنسبة لى ، أن هایلز قد كسب  
نقطة أخرى ضدى . فقد يسر عدم ذهائى الى الكنيسة  
لهالة الضيق التى انتابتنى بعد نقاشنا ، وهذا يرجسح  
كفته . ربما يظن أننى خائفة من شيء ما ، ومن المحتمل  
أن يستفيد من خوفى كمسبب المزيد من الحرية لنفسه .

كان خوفي أنى قد اتعامل معه على أساس أنسى  
مفصول من المدرسة . وكان ذلك شيئا مرعبا بالنسبة لى  
أنسى كنت متأكد أن كويت له صلة بذلك الموضوع . ولو  
أن السيد حضر الى « بلاى » لمناقشة هذا الموضوع معى ،  
فربما أرحب بمساعدته فى هذا الشأن . مكى كرميت  
البتكير فى ذلك ، وأردت فقط أن أؤجس أسؤال . وبه  
أن سوء حظى أن يكون مايلز على صواب . لأنه لم يعد  
منطوقه المناسبة . وكان له كل الحق يقول لى . أن  
براسمى بالمدرسة قد اضطررت . فلما أن تكشفى عن هذا  
اللعز لولى اعرى . وأما أن تعاملينى كما يجب أن يعامل  
النفسى . . . . . وعنده تصفقت عن ذلك ، ونسى تأكدت  
كذلك بالإضافة الى أننى صدمت . من أن مايلز قد رتب  
حطة .

كان هذا التحسقف هو الذى منعى من الذهاب الى  
الكنيسة . سررت ببطء حول مذبذبة الكديسية . مترددة  
متحيرة . كان يعرف أنى فى ورطة وأنسى لا أستطيع  
مساعدة نفسى . لقد كانت بيننا فجوة ، فالأمور أصبحت  
مختلفة تماما عن دى قبل . وكانت مسألة اللحاق به

وجسوس الى جواره عسى كرسى العائلة فى الكنيسة  
بمناخ عيب ثقيل على نفسى . ولأول مرة منذ أن عاد الى  
البيت من المدرسة ، كنت أريد أن أبتعد عنه .

تولعت بالحارج عند المافذة الشرقية وأخذت أصغى  
الى اصطنوت . ورائسى فكرة : « لماذا لا أهرب ؟  
هذه فرصة رائعة . . . . . لن يكون هناك أحد ليستولعنى .  
يمكننى أن أهرم أمتعتى . . . . . وأعوذ ادرأجى وأهرب . كل  
ماعلى أن أسرع هائدة الى لبيت وانتقط أشياءى انقليلة .  
فكل انخدم تقريبا موجودين بالكديسة ، ولن يرأى أى أحد  
كذلك لن يسوعنى أحد اذا ما تركت المكان . ليست هناك  
هائدة ترجى من غيأبى لعدة ساعات ؟ ينبغي على الرحيل  
الى الأبد ، والا فلا داعى لذلك إطلاقا . لى أننى قابلت  
الطفلين مرة ثانية على هائدة العشاء بعد عدة ساعات  
قليلة ، فسوف يتظاهران بأنهما صدمتا ، وأستطيع تصور  
ماسيقرلانه . . . . . ما ذلك الذى فعلته ، أيتها السيدة المميئة؟  
لماذا تسببت بنا فى كل هذا انقلب . . . . . ولن أستطيع الاجابة  
على مثل هذا السؤال ، ولا أستطيع أن انظر الى وجهيهما

اجميين عندما يسألان هذه الأسئلة • هذا بالضبط مايتحتم على أن أفعله لو أنني بقيت في البيت •

غادرت فناء الكنيسة على الفور ، وعدت مسرعة خلال الحديقة إلى « بلاي » • وفي الطريق أخذت أتدبر الموضوع مرة ثانية ، وفي الوقت الذي وصلت فيه إلى البيت كنت قد قررت أن أغادره • كانت فرصة عظيمة بالنسبة لي أن أقبل ذلك • كان البيت عادياً جداً ولم أقابل أي أحد • لو أنني غادرت المكان على هذا النحو ، لئن تكون هناك أي مشاكل ، ولا كلمات غامضة ، ولا وداع عزيز • لا بد أن أسرع بالطبع ، وأن أحصل على حربة ننقلني إلى المحطة •

وفي الصلة باغتتنني صعوبة الحصول على حربة ، فجلست على إحدى درجات بداية السلم • وشعرت بالاجهاد والوهن • لكن ذكرى شهر مضى جعلتني أجلس معتلة •

لقد كانت هنا ، على نفس درجة السلم في الظلام ، هنا حيث رأيت تلك المرأة المزعجة ، التي بدت في تلك اللحظة

وكانها مثقنة بالشر كما كنت أنا مثقنة بمشاكلي الآن •  
وقلت وصعدت باقي درجات السلم ••

اتجهت ناحية حجرة اندراصة حيث كان في بعض الأشياء فيها أردت أن أخذها معي • فتحت الباب ، واكتشفت في وضعة أنني لم أفقد قوتي برؤية الأرواح الشريرة • واشتعلت مقاومتي مرة ثانية وكانها لهيب بداخلي •

في وضوح النهار كانت هناك امرأة جالسة على منضدتي •• ولو لم أكن رأيت الأنسة جيزيل من قبل ، لقلت إنها إحدى المذاهبات تستريح بعد تنظيف الحجرة • كانت يداها تدعمان رأسها ، والاجهاد يبدو واضحاً عليها جداً • وعندما دخلت الحجرة ، لم تتحرك ، لكن بعد مضي لحظة غيرت وضعها بهدوء ، ثم بدت لي تماماً مثلما رأيتها في المرتين السابقتين •

نهضت •• لكن ليس لأنها سمعت خطواتي •• لكنها نهضت كما لو أن حزنها كان هو الشيء الوحيد الذي تعرفه

كانت المزينة السابقة نفف عني بعد اثني عشر قدما حتى ،  
 صورة من الحديقة • نظرت اليها عن قرب فرايت شبحا  
 يتسبح بانسواد ، شبحا اسود كسواد الليل • كان تعبيرها  
 مزيجا من جمال حزين ويأس كامل • عندما تطلعت الى  
 بدا في عينيها كأنهما تقولان ان حقها في الجلوس على  
 منضدتي يساوي تماما حقى في الجلوس  
 عليها • وعندما مررت هذه اللحظات متدنى احساس قريب  
 بأن حقها كان اكبر من حقى بكثير • قاومت ذلك الاحساس  
 بقوة حتى انلى لم استطع مقاومة صراخى : « انت ايتها  
 المرأة الموهبة ، ايتها المرأة البائسة ! » وسمعت كلماتى  
 تتردد عبر الردهة وعبر البيت الخالى •

نظرت الى كما لو انها قد سمعتنى • ثم اخذ شبحها  
 يتلاشى بسرعة ويختفى • وفى اللحظة التالية لم يكن  
 هناك شئ سوى اشعة الشمس ، واحساسى بأنه يجب  
 على ان ابقى فى « بلاى » •

## - ١٦ -

عندما عاد الآخرون من الكنيسة توقعت تماما ان  
 اجيب على عدة اسئلة • لكن ما حيرنى ، وادعشنى ان  
 أجدهم قد انتزموا صمت حذر • وبدلا من التائب المرح  
 لأننى لم الحق بهم فى الكنيسة ، لم يقولوا شيئا على  
 الاطلاق بخصوص ذلك • وكذلك السيدة جروز ، كانت  
 صامتا ايضا ، وخدمت من خلال تعبير وجهها ان الطفلين  
 ربما قدما بها رشوة لكن تصمت •

مكن قبل ان نشاول شئ ما بعد الظهر فى ذلك اليوم ،  
 وجدت فرصة لأتكلم معها • كنت تجلس امام الفرن فى  
 حجرة المخبز • كان المكان قد نظف ومسح لثروه وتفرج فيه  
 رائحة خبز طازج • استعدت هذا المشهد رائنا اكتب هذه  
 الكلمات •

مبارلت أذكر السيدة حروز وهي تنظر الى العـمرن  
حالسة على مقعدها دى اسطر المستقيم . وقالت :

— أوه ، أجل ، لقد طبيا عني ألا أقول شيئا ، وحتى  
اسعدهما عندما كانا معي — فليقد وعدت بذلك بطبيعة الحال  
لكن ما الذي حدث لك ؟

قلت : « لقد ذهبت معكم فقط للتمشى . فقد كان يتعين  
على أن أعود ثانياة السرايت لمقابلة صديق » .

أدهشت : « صديق ؟ لا أعرف أن لك ... »

— أوه ، نعم ، لدى أصدقاء قليلون .. لكن هل أعطاك  
أطعام مبررا لعدم قول أى شيء ؟

— نعم ، قالوا ان ذلك انفسر بالنسبة لك .. هل تفضلين  
ذبت ؟

لا أن ملامح وجهي جمعتها تشك في ذلك فقلت : « كلا  
أنا افضل ما هو اسوأ » ! لكنني أضفت بعد لحظة « هل قالوا  
بش عن السبب الذي يعمنى افضل ذلك ؟ »

— كلا ، لكن سيدي مايز قال ؟ لاينبغي أن تفعل شيئا  
سوى الذى تفضله !

— حقيقة ، أتمنى أن يكون صادقا ، وماذا قالت  
فلورا ؟

— كانت فلورا في منتهى اللطف عندما قالت : « أوه  
بالطبع ، بالطبع » .. وقلت أنا نفس الشيء !

فكرت للحظة : « وانت كذبت في منتهى انطرف — لكن  
لا يوجد أسرار بيني وبين مايلز الآن !

— « أسرار ؟ » ..

ونظرت الى متحيرة .

— لا يهم ، فلقد قررت أن أعود الى البيت كما لدى  
حديث مع لانسدة جيزيل !

وهي اللحظة التى سمعت فيها السيدة حروز هذه  
الجملة ، اتسعت عيناها ، لكنها قالت في هدوء تام :

— حديث ؟ هل تقصدين انها تحدثت اليك ؟

« لقد تحدثت الى بوضوح تام بعينيها » عندما  
سُحب الى لبيت كاتب تجلس على مصعدتى بحجرة  
الدراسة !

« ما انذى تعنفدين أنها كانت تريد أن تقول ؟ »

« انها تعذنى من عقاب فطيع ! »

« أنتصدين ذلك العقاب ... »

ولم تستطع المرأة المسكينة أن تكمل سؤالها .

« ... ذلك العقاب الذى وعد به الله الأشرار ! ... »

وهذا السبب فهو تريد أن ... »

وترددت فى هذه اللحظة ولم أستطع مواصلة كلامى ،

لكن رهيقتى بقصور خيالها سمعتنى على مواصلة الكلام .

« أجل ، هي تريد ... »

« هي تريد طورا ... » لكن تشاركها هذا العقاب ! »

لكن وكما قلت لك هذا لا يهم ، فقد اتخذت قرارى ! »

سألتنى : « ما انذى قررت ؟ »

« قررت أن أرسل الى عمهما . »

فصاحت قائلة : « اوه يا أنسة ، افعلى ذلك ، افعلى ! »

« سأفعل ... سأفعل ! فهذا هو السبيل الوحيد الآن ... »

مايلز يعتقد انى أحسن فعل ذلك ، ويأمل أن يحصل على

كسب جديد من خلال ذلك . اسررف يكتشف كم هو مخفى

أجل ، أجل ، سوف أخبر عمه ... ولقى حضور الصبي اذا

لزم الأمر ، انها ليست غلطتى أن مايلز سمع بعد الى

المدرسة عندما ... »

فهمست لى : « نعم ، يا أنسة » .

« ... وهناك مبرر فطيع ! »

وأصبح هناك العديد من « المبررات » الواضحة للسيدة

جروز .

« لكن ... أى ... مبرر ؟ »

« عادا ، ذلك الخطاب من ناظر المدرسة ! »

« وهل ستطمين عمه عليه ؟ »

« كان ينبغي أن أقص ذلك عندما تسلمته . »

فقالت السيدة جروز بحسم : « كلا ، كلا ، ... »

فواصلت كلامي : « ينبغي ان اشرح له ، بالنسبة الى  
استطيع تحمل مسئولية البحث من مدرسة اخرى لطفل  
سبق ان طرد ... »

فقلت بصوت عال : « لكن لماذا طرد ؟ »

— لسوء سلوكه ... ماذا غير ذلك ؟ ... فهو مجتهد وفي  
منتهى الجمال ؟ هل هو غبي ؟ هل هو غير منظم ؟ هل  
هو مدلل ؟ هل هو سيء المزاج ؟ كلا ... ليس فيه اى شيء  
من ذلك ... انى فلان ان يكون السبب فى ذلك سوء  
سلوكه ، وفى الحقيقة فهذه غلطة صعبا ، لانه ترك اماما  
يعيشون هنا ، من امثال كوينت و ... »

فتحجب لونها وقالت : « اوه ، لم يكن يرميها فى  
الحقيقة ، الغلطة عظمتى ... »

فاجبتها : « حسن ، لن نعانى من ذلك ... »

فقلت بصوت : « ولن يمانى الاطفال من ذلك ... »

وحدثت صمت للحظة ، وتطلعت كل منا للأفصى :  
« انى ، ما الذى ساقوله له ؟ »

— « لن تكونى فى حاجة لأن تقولى له اى شيء .  
سوف اخبره انا ... »

— تقصين امك ستكتيبين له ؟

ثم تذكرت انها لا تستطيع القراءة وستأكد لا يمكنها  
الكتابة . فاستدركت بسرعة . « وكيف ستعبريه ؟ »

— سأقول لناظر الصيعة وهو يكتب اليه .

— « وهل يرضيك أن يكتب هو حكايثنا ؟ »

وأبدت اسعى لهذا السؤال لاننى لم اكن اود ان  
اجرحها . واندفعت الدموع الى عاقيها « اوه ، يا انا .  
اكتبى امث اليه ؟ »

— « لا ياس ... البنية ... »

قلت ذلك ثم تركتها ...



شرعت ذلك المساء وأنا في حجرتي في البدء بالكتابة  
فتناولت ورقة وجلست أكتب ، لكنني أخذت أنطلق إلى  
الورقة طويلا ، تغير الجو ثانية ، وهبت رياح قوية  
وأخذت تمطر بشدة ، كانت فلورا ترقد نائمة على جوري  
وبدت في منتهى الرذاعة في سريرها الصغير ، وتساءلت  
هنا إذا كان مايلز نائما هو أيضا ؟

نهضت وتناولت الصباح ، خرجت من الغرفة ،  
عبرت الردهة وانصت للحظة عند باب غرفة نوم ، كنت  
أسمع لأى صوت يدلنى على أنه كان متيقظا ، وفي اللحظة  
التالية سمعت صوتا ، لكنه لم يكن الصوت الذى كنت  
أتوقعه ، سمعت صوته ينادى : « هساي ، اسست يامن  
بالخارج » « أدخل »

دخلت والمصباح في يدي فوجدته في السرير . كان  
يقظا تماما ومبتهجا جدا . سألتني : « ما الذي تتجولين من  
أجله ؟ »

وقفت بالقرب من رأسه والمصباح في يدي . « كيف  
عرفت أنني بالخارج ؟ »

— أوه ، سمعته بالطبع . هل تظنين أنك تسيرين في  
هدوء ؟ أنت مثل مجموعة من الفرسان !  
وضحك .

— كنت أظن أنك نائم .

قال وهو يمد يده إلي : « كلا ، كنت مستلقيا فقط ،  
أفكر . »

وضمت المصباح بحواره على المنضدة ثم جلست على  
حافة السرير وقلت : « في أي شيء كنت تفكر ؟ »

— أفكر فيه بالطبع .

— آه ، لطيف أن أعرف أنني أشغل فكره . لكنني  
أفضل أن تمام بالليل .

— وأما أمكر كذلك في تلك الأمور الغريبة لكلينا .

ولاحظت برودة في يده القوية : « أية أمور غريبة ،  
يامايلز ؟ »

— أوه الأسلوب الذي تتبعينه في تربيتي . وكل  
ما يتبع ذلك !

استنقذت انفاسي لبرهة . واتضح لي من خلال ضسوء  
المصباح أنه يبتسم .

وسألت : ماذا تقصد وبكل ما يتبع ذلك ؟

— أوه ، أنت تعرفين . . . أنت تعرفين !

لم أستطع قول أي شيء لفترة . كان كل منا ينظر إلى  
الأخر . وكنت ما أزال أمسك بيده . ثم قلت : « بالتأكيد  
سوف تعود إلى المدرسة ، إذا كان ذلك كل ما نريد . . . لكن  
ليس مدرستك ، بقديمة ، يجب علينا أن نبحث عن مدرسة  
أخرى ، مدرسة أفضل . . . كيف كان يتسنى لي أن أعرف  
أن هذا هو السؤال الذي يفكر ؟ فأنت لم تقل لي أبدا .  
أنت لم تتحدث عن ذلك الموضوع مطلقا ! »

كان يصفى اى باهتمام . وبدأ برجهه الجميل  
الابيض الرقيق وكأنه منير يرقد في سرير بمستشفى .  
وعندما حطرت هذه الفكرة برأسى ، تميت ان اكون  
الطبيب أو الممرضة اذى بيديه القدرة على شذته . وعلى  
أى الأحوال ، من المحتمل اننى استطيع المساعدة ! . هل  
تعلم انك لم تقل لى أبدا كلمة واحدة عن مدرستك . .  
اقصد مدرستك القديمة . . لم تذكر لى أى شيء عنها على  
الاطلاق ! .

لم يحب على الفور لكنه بدا متحمرا . تصورت انه  
كان يحاول أن يكسب وقتا . وابتدر كما لو أنه يتوقع منى  
المساعدة .

ثم قال أخيرا : « ألم أقل لك أى شيء ؟ »

وكان هناك شيء ما فى صوته ، وفى تعبير وجهه  
عندما قال ذلك . جعلنى أحس بالألم فى قلبى . وتأكدت  
بعد ذلك أن قوة التأثير المرعب كانت مسيطرة عليه .  
كان يحاول التظاهر بأن كل شيء على مايرام ، وأنه ليس  
هناك شيء غريب أو غير عادي يحدث له . لكن قدراته

الذهنية كطفل وقوة احتماله ، لم تفيح فى أن تصحب هذا  
الادعاء .

— كلا ، أنت لم تقل لى أى شيء عند اليوم الذى  
جئت فيه إلى أبيث . . ثم تذكر لى أى شيء عن مدرسيك  
أو عن أصدقائك فى المدرسة . . لم تقل لى أبدا عن أى  
شيء حدث لك فى المدرسة . لذلك فانت ترى اننى أعرف  
عنك انقليل جدا أو عما يدور فى ذهنك واستطيع بكل  
صدق أن أقول — حتى تكلمت معى هذا الصباح — بانى  
لم اسمع أبدا كلمة عن حياتك . .

واحسست بكل تأكيد ان التأثير الخارجى ، الذى يرتبط  
بكويذت ربما كان يسمم حياته . وسهل هذا ، لاحسس  
المسألة بنسبة لى ، فأجذت أعامله على أنه شخص كبير .  
أو على قدم المساواة . . وبناء على ذلك فقد قلت له :

« كنت اعتقد انك تريد أن تتخفى فى حياتك بانحور  
الذى انت عليه » .

عندما قلت ذلك تغير لون وجهه قليلا . وعسى أى

الأحوال فقد هن رأسه بيطم وقال : « ان لا أريد ٠٠ لا أريد  
أنا أود أن أهرب بعيدا ؟ »

— هل تصبت من وجودك فى « بلاى » ؟ ٠٠ ؟

— أوه ، كلا ، أنا أحب « بلاى » ٠٠ !

— طيب ، إذن ماذا ؟ ٠٠٠ ؟

— أوه ، أنت تعرفين مايريد سبى فى مثل سننى !

واصصبت اننى لا أعرف بالضبط مثلما يعرف هو .  
وكانت فرصتى لأكسب بعض الوقت الآن فسأله : « هل  
تريد أن تذهب لعمك ؟ » ٠٠ فهز رأسه مرة ثانية وقال :  
« أه ، هذا يجعل الأمور سهلة بالنسبة لك . اليس كذلك ؟ »

وكننت أنا التى تغير لونها هذه المرة على ما اعتقد .  
وظللت صامئة للحظة . ثم قلت : « لكنى لا أريد للأمور أن  
تكون سهلة » .

— لن تكون سهلة حتى لو رغبت . لابد أن يحضر سى  
اسى هنا ولابد أن تطعمه على كل شيء بالضبط !

فاجبت بشيء من القوة : « لو فعلنا ذلك ، فسيوف  
يتحتم عليك أن تقادر « بلاى » بالتاكيد »

— حسن ، ألم تفهمى أن ذلك بالضبط هو ما أريده ؟  
فعلبك أن تقولى له ان تعليمى قد أهمل . لابد أن تقولى  
له ذلك بشكل مبالغ فيه !

تكلم بمساراة ، وكنيت أود عليه بنفس الطريقة .  
« وما قدر الذى ستقوله له ، يامايلى ؟ هناك أشياء سوف  
يسألك عنها ! »

فكر فى ذلك ثم قال : « محتمل جدا . لكن أى أشياء ؟ »  
— سوف يسألك عن كل الأشياء التى لم تقلها لى  
أبدا . فلابد أن يقرر ماذا سيفعله بالنسبة لك . حيث  
لاستطيع أن يبعدك ٠٠٠

فقاطعتنى : « لا أريد العودة ! أريد مجالا جديدا ! » .

قد ذلك بابتهاج ، بن بصرح . لكننى تخفيت خيبة  
الأمل الكبرى لا احتمال عودته انى « بسلاى » فى نهاية  
الثلاثة شهور . وكنت على يقين أنه سيعود من مدرسته

الجديدة بنفس الادعاء ، والكلام المفق - مع مزيد من عدم  
الامانة - عرفت في تلك اللحظة ، انه لن يكون في مقدوري  
انما تحمل ذلك ، وجسسى ذلك اقم السيطرة على مشاعري  
فاحملته بذراعى وقلت : « يا عزيزي مايلز » . . .

كان وجهي قريبا لوجهي فتركضى اقبلة . وقال : « حسن  
ياسيدتي العزيزة ؟ » .

- الا يوجد شيء . . . أى شيء على الاطلاق تريد ان  
تقوله لى ؟

استدار ناحية الحائط ورفع يده وتلخصها « لقد قلت  
لك - لقد قلت لك هذا الصباح » .

وشعرت بالأسى الشديد لسه : « انت لا تريد منى ان  
اهتم بك » هل هذا كل شيء ؟ .

استدار وتطلع الى ، كما لو انه كان سعيدا بانسى قد  
قهرته ، رغم دهشته الى حد ما . ثم قال بركة : « هذا كل  
شيء . . . ارجو ان تتركينى وحدي » .

فارحته ونهخت ببطة . ويعلم الله اننى لم اكن اريد  
ازواجه . لكن مشاعري لم تطاوعنى في تلك اللحظة بالا  
اهتم به لانه طلب منى ذلك . كانت تلك هي الحال التي  
انا عليها عندما ادرت ظهري عنه ، تاركة اياه ، فاقدة  
اياه . قلت له :

- « لقد شرعت في كتابه خطاب لعمك الآن » .

- حسن ، اكتبه اذن ا

انتظرت دقيقة : « ماذا حدث قبل ذهابك الى المدرسة ؟  
» وماذا حدث انشاء وجودك هناك ؟

كان مايلز ينظر الى لكتنه لم يجب على الفور . ثم ،  
وكانه لم يلهم ، اخذ يده : « ماذا حدث ؟ »

ولاول مرة لاحظت اختلافا واضحا في صوته .  
فاجسست بشكل مرهف ان يديه رغبة في الكلام . وجلس  
ذلك اركع على ركبتى بجوار سريريه وانتهر فرصة سبحت  
لساعدته . « مايلز ، مايلز ، اه لو تصرف كم اوه ان

أساعدك هذا كل ما أريد أن أفعله . أنا لا أريد أن أصيب  
بك ألما أو ضررا . أنا أريد فقط أن أساعدك ، أن أنقذك .

بعد لحظة قصيرة تبين لي أنني تحدثت كثيرا .  
وتلقيت اجابة في الحال - لكنها لم تصدر عن مايلز . انما  
جاءت من خلال همة ريح ثلجية باردة شرسة . . . اهتزت  
أعزقة ، كما لو أن الباذلة قد أنفتحت بعنف . وبدت عن  
الصخر صرخة عادية ربما تكون صرخة فرح أو خوف  
مطيع . قفزت نائمة . . وكانت الحجرة مظلمة تماما .  
وبقي كل شيء في الحجرة للحظات على ذلك النحو ،  
وتعمدت عيناى على الظلمة . فلاحظت أن الباذلة كانت  
معلقة بأحكام والمستائر مسدلة عليها .

فصحت : « لماذا ، انظروا الصباح ؟ ! »

فقال مايلز : « أنا الذى أصفاته ! »

## - ١٨ -

في اليوم الذى بعد انتهاء الدروس ، قامت لي السيدة  
جرووز في هدوء : « هل كتبت الرسالة ، يا أسسة ؟ »

- نعم . . . كتبتها !

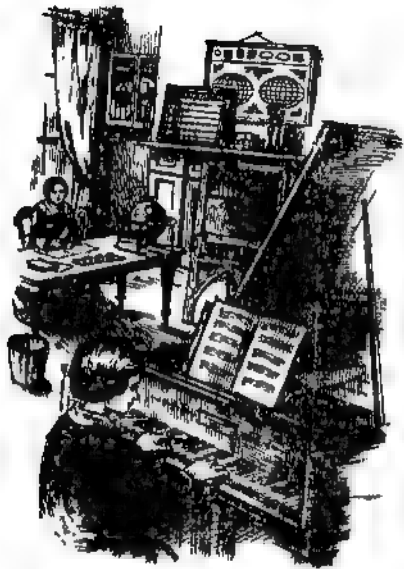
لكنى لم أفل لها في ذلك الوقت أن الخطاب معنون  
وجاهز لإرساله للمبريد . وأنه مازال في جيبى . فقد كان  
هناك متسع من الوقت قليل أن يأخذته المرسال إلى القرية .

كان تلميذى قد أديا واجباتهما بكل امتياز هذا  
الصباح . ويبدو كما لو أنهما قد قررا أداء واجبهما  
بشكل أفضل من المعتاد لاسمادى . . . وذلك على احتمال  
أننى قد أكون حارلت متصايفة من أحداث أمس . وكان  
مايلز بصفة خاصة مغرما بأن يرينى كيف أن الواجب كان

سهلا بالنسبة له ليصفق عن ضمعي • كان هذا الطفل على ما أذكر ، يعيش حقيقة في تصاد بين نوع من الجمال ولؤوس ، لا تستطيع الكلمات أن تصفه • كان متفوقا في كل شيء • يفقه ، رغم أن أي شخص غريب قد يعتقد أنه مجرد صبي صغير ساذج •

ولقد عرفته جيدا الآن ، ودشما ماكنت اتعامل عما فعله ليستحق الطرد من المدرسة • كأن من الممكن أن اصدق ذلك ، أبان علاقته مع كوينت ، فقد تعلم كيف يستطيع تخيل البشر • لكنني رفضت أن اصدق ، دون برهان أنه قد قام بارتكاب أي فعل شنيع ••

بعد الغداء في ذلك اليوم المزيج بدأ يتصرف بشكل مهذب تماما •• جاء الى وسألني أن كنت اود منه أن يعزف على البيانو مدة نصف ساعة •• كان ذلك مثالا لسلوكه الجيد ، وذوقه الرفيع ، وبذله • وكان طلبه هذا يعني نفس المعنى لو كان قد قاله لي • ، ان الانسان المهذب لا يحاول أبدا استغلال ميزة ما ليحصل منها على المزيد • ان أعرف ما تقصديته الآن ، أثنت تعنين أنني اذا لم اسب



وعزف كما لم يعزف من قبل •





واجهة البيت .. لابد أن نخفي قلنا على قدر ما نستطيع  
سوف نقابل في الصداقة بعد عشر دقائق !

لكن عندما تقابلنا في الصلاة بالفعل لم يكن هناك  
شيء لمقوله .. وبدأت السيدة جروز في عنتي الجرح  
الآن ..

فسألتني : « هل متشت كل العرف الموجودة في الطابق  
الأعلى ؟ » ..

فقلت : « أنا لا أظن أنها في البيت » أنها على مبعدة  
من هنا .. أعتقد أنها خرجت .. » ..

.. خرجت ؟ دون قبعة ؟

.. أليست تلك المرأة دون قبعة دائما ؟

.. أتظنين أنها معها ؟

فصرخت قائلة : « إنها معها ! لابد أن نعثري عيهما »

كانت يدي فوق ذراع صديقتي ، فجذبتها ناحية الباب

لكنها تحركت ببطء وسألت : « أين سيدى مايلز ؟ »

.. « أوه ، إنه مع كوينث » .. من المحتمل أنهما في

حجرة اندراسة ..

.. « أوه .. » ولم تستطع أن تقول المزيد ، وثبتت في  
مكانها غير قادرة على الحركة ..

وأصليت كلامي .. « لقد أوقعا بي في شرك » نجحت  
خطتهما .. فقد اكتشف أروغ وسيلة لشغلي على حين  
تكون هي قد خرجت .. »

.. أروغ وسيلة ؟

رددها السيدة جروز بصوت متعير ..

.. « أو أسوأ وسيلة : والفرصة متاحة له الآن .. لكن  
تعالى !

كانت تنطلع الى اعلى اسلم بلا حول ولا قوة .. وهل  
ستتركينه وحده ؟ » ..

.. « وحدد مع كرينت ؟ - أجل .. فلما لا يهمني ذلك  
الآن .. »

انتهت هذه اللحظات بأن أمسكت بيدي .. وما أن فمت  
ذلك حتى سمعتني من « متحرك » : « لكن لماذا لا تهتمين ؟ هل  
ذلك بسبب الضباب ؟ » ..

وبدلاً من أن أجيب تحسست جيبى وأخرجت الخطاب ورفعته أمام نظرها . ثم جلست بنفسى منها واتجهت لأصبعه على النصلة فى الصلبة الكبيرة . وقلت وأنا عائدة إليها : « سيأخذ المرسا إلى البريد » . وصلت إلى باب الصلاة وفتحته . خرجت ووقفت على السلم الخارجى .

كانت رعبتى مائزأل متردة . من قبل كانت هناك معاصفة بالليل ، وبقضى الصباح المكر وبعد الظهر كان الجو كئيباً ومليئاً بالسحب ، نزلت على درج السلم بينما كانت تقف على مدخل الباب . سألتنى : « إلى ترقدى بعطفك وقمعتك ؟ »

— كلا . فالطفلة خرجت دون قبعة أو معطف . لا أستطيع الانتظار لارتدائهما . . . إذ كنت ستفعلن ذلك . فيبقى على أن أتركك . ويمكنك أن تمعنى عنها فى الطابق العلوى مرة ثانية !

فجاءت : « الطابق العلوى ؟ معهما ؟ » . واندفعت أسيده جروزل لتنزل السلم بتذهب معى .

- ١٩ -

اتبعنا إلى البحيرة مباشرة . وكان انطباعنا قد صطحبناى مرة أو مرتين فى نزهة بقارب قديم موجود على شاطئ البحيرة كان مخصصاً لاستعمالنا .

لم يكن ذلك المكان بعيداً عن البيت ، لكن فكرة ابتائبنى بأن فلورا ليست قريبة من الميت . هى لم تهرب معى من أجل مخافة بسيطة .

أحياناً كنت أسير أما وفلورا على ضفاف البحيرة ، ومنذ ذلك اليوم الذى ظهرت فيه الاتسة جيزيل هناك ، لاحظت الاتجاه الذى كانت الطفلة تفعل السير فيه أثناء نزهاتنا . فاسرعت أنا والسيدة جروزل إلى ذلك الاتجاه .

— نحن نتجه ناحية البحيرة ، يا أسيده . هل تظنين أنها فى . . .

وانساب الفلق ريفيتى مرة ثانية من جراء الفكرة التى  
هزأت على ذهنها .

— فى المساء ؟ كلا لا اظن ذلك وعلى أى الأحوال  
فالبخيرة ليست عميقة جدا . أنا اعتقد أننا مسجدها فى  
الكن الذى رأينا فيه الأنسة جيزيل أول مرة . . .

.. عندما تطاهرت فلورا بأنها لم ترى . .

— أجل . . وقد كنت دائما على يقين أنها تريد العودة  
الى هناك وحدها . وقد رتب لها شقيقها ذلك معاية  
تامة .

توقعت أسيدة حورن عن السير ، ووقفت سسائكة :  
« مر معتقدين حقيقة أن السعلين يتحدثان عنهما ؟ »

لما جبت على الفور وبكل تأكيد : « بهما يولان أشياء  
تصدمننا وتصيبنا بالاشمئزاز لو سمعناهما » .

— وادأ وجدنا فلورا هناك . .

— نعم ؟

— فهل تظنين ان الأنسة جيزيل ستكون هناك ايضا ؟

— أنا متأكدة من ذلك . وسوف ترين .

— أوه ، أشكرك !

وبدأت ريفيتى من اللبكاء ورفضت أن تتحرك خطوة  
واحدة . . . وعندما تحققت من ذلك ، مضيت فى طريقى  
بدونها . لكن فى الوقت الذى وصلت فيه الى البحيرة  
كنت قد أدركتني ووقفت خلفي . اعتقد أنها قررت ، انه  
مهما يحدث من مخاض ، فمن الأفضل لها أن تواجهها معي  
أفخص من أن تكون وحدها .

ومشينا فى معظم مياه البحيرة لكن لم يكن هناك  
أى أثر للطفلة على الضفة التى تقف عليها أو على  
الضفة البعيدة . وتسلع كل منا لآخر ، وفهمت مايدور فى  
ذهنها من خلال عينيها .

هززت رأسي وقلت : « كلا ، كلا . لم تسقط فى الماء .  
لقد أخذت القارب » .

وتطلعنا الى انكار الحاسى المقرض أن يربط فيه  
بقارب ، ثم أخذنا نطلع عبر البصرة مرة ثانية .

سألنى السيدة جروز : أين القارب الآن ؟

- الحقيقة التى تؤكد أنها لا نراه ، تثبت أنها قد أخذته  
لقد استعملته لتعبر الى النجدة الأخرى ، ثم عدت الى  
أحفائه .

- هل تعتقدين أن تلك المطعة ، استطاعت القيام بذلك  
وحدها ؟

- هي ليست وحدها وفى ظروف مثل هذه لا تكون  
منفلة ، بل تكون امرأة ، ، وامرأة ناهضة !

وأخذت أطلع بمنابة في أرجاء الضفة الأخرى ، حتى  
اكتشفت مكاب من لمكب أخفاء القارب فيه ، فأشهرت  
رؤسيتي الى المكان ، وقلت لها :

- هل ترين مكانا صغيرا مكتوشا هناك ؟ انه في  
المالب مخبأ لجوار تلك الأشجار أنتى تقترب من حافة  
المياه ، من المحتمل أن يكون القارب هناك !

- لكن إذا كان هو ، فلين الطفل بحق الله ؟

- هذا بالضبط ما يجب أن نصل اليه !

وشرعت في السير تجاه اناحية ، الأخرى من البحيرة .

سألنى بصوت مضطرب : « هل سندور حول البحيرة  
كلها ؟ »

- بالتأكيد . لن يستغرق ذلك أكثر من عشر دقائق .  
وبالطبع كان سيستغرق وقتا أطول بالنسبة لغورا ، لذا  
مقد فضلت أن تستعمل القارب .

تبعته ، السيدة جروز ثانية ، وعندما قطعنا منتصف  
المسافة توقفت لكي تلتقط أنفاسها . كان مشوارا صعبا  
لأن الأرض لم تكن مسهدة والاعشاب قد نمت في أحر .  
وواصلت السير بعد عدة دقائق ، وقمت بمساعدتها بقبعة  
الطريق . وعندما وصنا الى ذلك المكان المكتشف على  
الشاطئ رأينا اقارب على الفور . كان محباً  
وعرودنا الى لسمور المجاور للماء . وعندما أبصرت  
لجودمين السميكتين القصيرين وهما موضوعان بنظام داخل

العارب ، تأكدت من أن ذلك يعد عملاً مذهلاً بالنسبة  
لعدة صغرها ثل سوات ، ومررباً عبر البوبة الموجودة  
من السور وتخطينا لأشجار وصاحت كلانا على الفور :  
« هاهى ! »

كانت فلورا تقف على مائدة منا فوق العشب وتبتسم ،  
كما لو أن العرض الذى قدمته قد انتهى ، لأن - لكن الشيء  
التالى الذى فعلته هو أن انحنت وانزعت حزمة كبيرة من  
العشب الخسار - كما لو أنها قد حضرت الى هنا لهذا  
الغرض بالذات . . . ووقفت فى انتظارى وهى مائزاً تبتسم  
وتحن فى الطريق اليها . ثم تقابلنا ، تقابلنا فى صمت  
تام !

كانت أسيدة جروز فى أول من كسر هذ الصمت .  
فركبست على ركبتيها ، وأحاحت الطفلة بذراعيها  
وامتحننتها ببطء .

ولم أمتنع فعل شيء والموقف كذلك ، إلا أن أراقب  
ما يحدث ، رقيبته بعناية فلاحظت أن فلورا كانت تنظر الى



مباشرة من فوق كتف رقيقتي • كان وجهها جادا في تلك اللحظة • عابرته الابتسامة • وجعلني ذلك احسد السيدة جروز على علاقتها البريئة بالطفلة •

وطوال ذلك الوقت لم تقل كلمة • لكن المظرات المتدربة بيني وبين فلورا ، أفضحت بوصفها تام أن كل امبروس لاهادة معها الآن ، وأخيرا نهضت السيدة جروز وظلت ممسكة بيد الطفلة ووقعت الاثنان قبالتي •

كانت فلورا هي أول من تكلم • نظرت الى راسي  
لعاريتين وقالت في دهشة مفاجئة : « غير محقول • أين قبعانكما ؟ »

فاجبت على الفور : « انهما في البيت • • أين قبعتك »  
في تلك اللحظة عادت النبا سعادتها ثانية ، وارضاهما هذا الرد • فواصلت كلامها : « وأين مايلز ؟ »

كان ذلك السؤال من قبلها بمثابة دعوة لقتال ، وومضت هذه الكلمات وكأنها سيف مشرع • بسية لي • وشمرت بحمل ثقيين من القلي ينتقص من فوق كتفي حتى قبل أن أجيب : « سأقول لك ، لي أنك قلت لي • • • »

ولسبب ما توقفت عن الكلام • وسالتي :

— أقول لك ماذا ؟ !

ورأيت مسحة من الخوف على وجه السيدة جروز  
لكن المسألة لم تعد تحتل الصبر أكثر من ذلك • فكان علي  
أقول لها :

— فلورا ، أين الأنسة جيزيل ؟ !

كانت هذه هي المرة الأولى التي ذكر فيها ذلك الاسم  
بينى وبين أنطمة . وبدأ وقع ذلك مثل تهشم لسرح من  
الزجاج . كما بدت غلورا كما لو اننى ضربتها فى منتصف  
جبهتها . وندت عن السيدة جروز صرخة عالية - مثل  
صرخة انسان جريح ، واكمل ذلك بصرخة منى بعد  
لحظات . قبضت على ذراع صديقتى وقلت : « بها هناك  
هناك !! »

كانت الأنسة جيزيل تقف على الضفة المقابلة للبحيرة  
تماما مثلما كانت تقف فى المرة الأولى . وأذكر ، أن أول  
احساس انتابنى كان الخساسة بالفرح . . . بالفرح لأننى  
أخيرا قد وصلت الى برهان ، فلو كانت هناك ، وهكذا  
لأنا على صواب . . . ولست بمجنونة أو متبورة . كانت

تلف هناك حتى تراه السيدة جرور المدعورة البانسة ،  
لكن أغلب الظن أنها كانت هناك من أجل فلورا . . . كانت  
لحظة غير عادية بالمسبة في . . . لأنى لم أستطع مقاومة  
أرسال رسالة شكر صامتة عبر الماء الى شبح تلك المرأة  
الشاحبة المخيفة !

كانت تقف مباشرة على الجزء المقابل لضعفة البحيرة  
التي غادرناها عند قليل فقط أنا وسيدة جرور ونطلع  
كل بوصة من شكلها وحجمها بالشر . . . أشر القام . . .  
رأيت كل ذلك خلال لحظات قليلة . كانت السيدة جرور  
تطلع أفتاءها ببلاهة الى المكان الذى اشترت اليه  
وأعتقد بالطبع ، أنها رأت حارايته . وكان كل اهتمامي  
ينصب أساسا على فلورا . كنت أريد أن أعرف كيف كانت  
ستتفاعل مع اكتشافى لسرها .

لكننى صدمت عندما نظرت الى الطفلة . كنت أتصور  
أنها ستبدو مضطربة أو جائعة لكن لم يبد عليها شيء من  
ذلك . كان تمسير وجهها يظهر فقط أنها غائبة لمشاعره  
تماما . ولم تكن تود بالطبع أن تكشف لنا عن المزيد من

سرها أكثر مما عرفناه بالفعل ، وإذلك فلم أكن على  
استعداد لتلقى احدى وعضاها السريعة التي تخرج من  
عينها . وقفت هناك دون أدنى حركة من وجهها المتوردة  
الصغير ، ولم تهتم حتى لتتأمل اللحظة التي الزائرة الموجودة  
على الطرف الآخر من البحيرة .

بدلا من ذلك ، أخذت تنظر الى بقسوة شديدة - بتعبير  
كان جديدا تماما . . . كانت نظرة قاسية بدأ منها أنها  
تعرفنى ، وأنها تتهمنى ، وأنها تصدر على حكما ، كل ذلك  
فى نفس الوقت . . . كانت نظرة ، تدللت الطفلة من خلالها  
لتصبح شخصاً آخر مضيئا . وأدعشتى أنها لم تكن مهتمة  
بالإنسة جيزيل ، وخاصة عندما تأكدت أنها تستطيع أن  
ترى شخصها الكريه بوضوح تام .

صحت قائلة : أنها هناك ، انت أيها الشيء  
الصغير المتعس . . . أنها هناك ، وبإمكانك أن ترينها مثلاً  
تريننى تماما !

كنت قد قلت للسيدة جرور من قبل أن فلورا لا تكون  
طفلة فى هذه الاوقات ، لكنها تصبح كامرأة ، امرأة



ناصية - وهذا الوصف كان يطبق تماما على الحالة التي بدت عيها وبطريقة التي كانت تنظر بها الى . تجاهلت كلماتي وكذلك اصبحى الذى يشير ، ورمقتنى بنظرة كراهية عميقة جدا . وظل هذا التعبير على وجهها .

ولقد صدمت هذه المرة من تصرفات فلورا ، أكثر من أى مرة سابقة ، وحتى تزداد الأمور سوءا فقد كان عسى أن اتعامل مع انفجارات صدرت من السيدة جروز هجاة .

عقد احمر وجهها وبدا كما لو أنه يملأ المكان امامى .

وسمعت صوتها عاليا معترضاً . ما هذه الصدمة المقطعة انتى سبينها لى ، يا لاسية ، حسو الله ، أين ذلك الذى تريته ؟

ولم أستطع الا أن اضغط أكثر على ذراعها ، لأنها اشاء ما كانت تتكلم كان شبح الانسة جيزيل القويح يقف واضعاً دون خوف . لقد رأيته بالفعل لمدة دقيقة ، وظل باقيا اشاء كلامى وحتى اشرت باصبعى وصممت : الا تزينها بالصبط كما رأيناها ؟ هل تمنين انك لاثريتها .

ولاحتى الآن ؟ انها ضخمة كالسفينة الحربية ! انظرى ، يا عزيزتى ، انظرى . . . !

ونظرت مثلما فعلت أنا ، لكنها هزت راسها ، وصدر عنها صوت يعبر عن الفشل والياس والرتاء . . الرتاء من اجلى ! . . وكنت أعتقد انها ستكون سعيدة لمعاونتى لو كان فى مقدورها ذلك . وكنت فى هذه اللحظة فى أمس الحاجة الى عون على قدر ما يمكن . . نكن ثبت بالقطع . . ثبت أنه ليس لديها القدرة اللازمة لرؤية الأشباح الشريرة : واصبح موقفى تجاهها ضعيفا جدا . وتصورت أن الانسة جيزيل قد تحققنت من هزيمتى أو عرفت ، كما عرفت أنا ، أن مشكلتى أصبحت الآن مشكلة مزدوجة كما كانت عن قبل . فقد أصبح من المحتم على أن اتعامل فلورا وضع حائلز على انفراد تماما .

لم تخضع السيدة جروز وقتا من كشف ابعاد المسألة بالنسبة لى - وبالتسبة لفلورا فقالت : « انها ليست هناك يا مينيلى الصغيرة ، ولا يوجد أى احد هناك . . . وانت لم ترى أى شىء أبدا ، هل رأيت ، يا عزيزتى ؟ كيف يقبلنى للانسة جيزيل المسكنة . . أن تظهر ثانية بعد أن ماتت ودفنت ؟ نحن نعرف ذلك ، ليس كذلك يا عزيزتى ؟ » واخذت الطفلة بين ذراعيها ثانية . وقالت : « الأمر كله مجرد

حظا وازعاج وبكثة .. وسوف نعود الى البيت بأسرع  
ما يكون !

وافقت الطفلة بسرعة ووقفت الاثنان متحالفين  
نفسى . ولم يتغير تعبير فلورا تجاهى . وتوسلت الى الله  
أن يغفر لى ماريته . جمالها الطقوس الاخاذ وقد غاب  
عنها . ولقد قلت ذلك من قبل .. كانت قاسية ، وقبيحة  
الى حد ما .

وقالت : . أنا لا أعرف ماذا تقصدين ؟ أنا لم أر أى  
شخص .. لم أر أى شخص إطلاقا .. ثم لوت وجهها  
بعضت قائلة : . امث قاسية .. أنا أكرهك !

واحتمت فى السيدة جروز بعد أن قالت ذلك الكلام  
واخفت وجهها لصغير المبتسلى لى جميلة السيدة جروز  
العضاضة . ومن حلال الجولة صدر عنها بكاء مكثوم  
يائس وأخذت تصرخ : « خديلى بعيدا - أوه خديلى  
بعيدا ، عنها ! »

قلت لأمي : « بعيدا عنى ؟ »

فصاحت باكيا : « بعيدا منك - بعيدا منك ! »

واكتسى وجه السيدة جروز بمسحة من لفجل بسبب  
ذلك . ولم أستطع فعل شيء سوى أن أدير رأسى ثانية تجاه  
شبح المرأة على الضفة المقدلة . كانت مائتال تقف هناك  
دون حركة ، كما لو أنها تجمت الى أصواته . عندئذ  
تيقنت أن ظهور الأنسة جيزيل بالنسبة لى ، وعدم ظهورها  
القام بالنسبة لسيدة جروز ، يعمل نفس النتيجة بالضبط ،  
وهو تحطم كل آمالى فى انقاذ فلورا . لقد كانت ابنة  
تحدث وكان كل كلمة من كلماتها للصغيرة التى تحمل  
روح الكراهية ، آتية عبر أبحيرة . هزئت رأسى بعز  
وقلت : « لقد فقدتك يا فلورا .. ربما كانت تراودنى  
اشكوك بخصوص ذلك فى الماضى لكنها الآن قد ولت .  
لقد تدخلت فى خطتها » .

ثم تطلعت عبر الماء الى تلك لشاهدة الشريرة .  
وواصلت كلامى : « قد دلتك على أسهل وأكمل أسلوب  
لكى تهزمى أسلوبى . لقد بذلت ما فى وسعى لأنفذك ،  
بكنى هشتك ، وداعا ! » ..

التفت الى السيدة جروز وصمعت فيها زهيا ، ادهيا ،  
كدت مصطربة جدا واجست تماما بان هناك شيئا خطيرا  
قد حدث ، لكنها اخذت الطفلة الصميرة وعادت من نفس  
الطريق الذى جئنا منه ، وباسرع ما تستطيع .

لا اهراف بالضبط ماذا حدث لى اولا بعد ان تركاني .  
لكن بعد ربع ساعة شعرت فجأة اننسى يردانه ومبتلة  
ووجدت نفسى منطرحة على وجهى فوق الأرض . لاند اننى  
القيت منفسى على الأرض واخذت ابكى وأبكى . ويبدو  
أنتى ظننت كذلك انكى لفترة طويلة . عندما نهضت اخيرا  
كان الظلام على وشك ان يغسل . تطلعت الى البحيرة  
الرمادية . وسرت ببطء عائدة الى البيت .

عندما وصلت الى البرابطة الموجودة لى السور ،  
دعشت لاكتشافى ان ابقارب احتفى ، اذن فقلورا ما زالت  
تدير الأمور ، قضت اليل مع السيدة جروز ، اعتقد على  
الأقل انها فعلت ذلك ، رغم اننى لم ار أيا منهما النساء  
عودتى .

أما مايلز فقد كان معى لفترة لاباس بها من المساء ،

وحقيقة فقد بقى ذلك المساء لفترة أطول مما كان يقضيها  
معى عادة من قبل . عندما عدت الى البيت ، لم أبحث  
عنه . ذهبت مباشرة الى غرفتى لأغير ملابسى ، فلاحظت  
على الفور ان حاجيات فلورا قد أخذت من الصجرة . بعد  
ذلك تناولت الشاى كالعادة بجرار مدفاة حجرة الدراسة .  
ولم اصال المسانمة التى احضرت الشاى من غياب  
الطفلين ، فمايلز قد حصل على حريته الآن . وبماكانه  
ان يتحصل على الكثير منها كما كان يريد .

لكن لايبدو أنه يريد الكثير جدا . اذ عاد الى حجرة  
الدراسة حوالى الساعة الثامنة وجلس معى فى صمت .  
فى ذلك الوقت كنت قد أطفأت المصباح وقريت مقعدى الى  
جوار المدفاة . كنت أجلس فى الظلام مع أفكارى عندما  
حضر . جلس معى ، وكنت أشعر تماما أنه كان يود أن  
يكون معى .

في صباح اليوم التالي حضرت إلى حجرة نومي  
السيدة جروز مبكرا وكانت تعمل أنباء سيئة .. يبدو أن  
فلورا مريضة .. تزايدت عليها الحمى أثناء الليل وأبقتها  
متيقظة ، بكت كثيرا ، لم تكن على الإطلاق مشغولة بأفكار  
الأنسة جيزيل ، إنما كان كل ما تريده أن تظل بعيدة عني !  
نهضت على الفور وبدأت أوجه بعض الأسئلة .. بعد أن  
تبين لي أن السيدة جروز كانت على استعداد تام للإجابة  
عليها ..

- هل عازلت تقول أنها لم تر أحدا أبدا أو أي شيء ؟  
- لا أعرف ، يا أنسة .. فإنا لم أسألها ثانية عن ذلك  
.. اعتقد أنه ليست هناك حاجة لذلك .. فلقد أنهكتها ذلك  
تماما !

- أوه ، أنا أعرف الشكل الذي تبدو عليه ، وأعرف كذلك الأسلوب الذي تسلكه . أنها متضايقة ، بنفس القدر الذي يكون عليه لسان يشعر بأهميته ، لأنني قد شككت في ثقتها بنفسها وشخصيتها . وحقيقة أنا حازلت أشك فيها كثيراً جداً . وأنا لا أعتقد أنها ستحدث إلى ثانية على الإطلاق .

لم تفهم السيدة جروز ما قصدته تماماً ، فلم تقل شيئاً للحظة ، ثم اتفقت معي تماماً في النقطة الأخيرة وقالت : حقيقة ، يا آنسة ، أعتقد أنها لن تفعل ذلك أبداً ، فهي معتزة بنفسها .

قلت بوضوح : « هذه هي مشكلتها الرئيسية الآن » - أنها تصالني كل بضع دقائق ، عما إذا كنت أظن لك ستأتين إلى الحجرة ؟

- فهمت .

- هل قالت لك كلمة واحدة عن الآنسة جيزيل منذ أمس . . . فيما عدا أنها لم ترها أبداً أو تفكر فيها ؟

- ولا كلمة ، يا آنسة . وأنت تعرفين بالطبع أنني صدقتها بالأمس عند البحيرة ، حيث - لم يكن يوجد أي أحد هناك ؟

- نعم . بالطبع ، أعرف ، ومن الطبيعي أن تقضي تصديقها .

- وماذا حسبي أن الفعل غير ذلك ؟

- لأشياء على الإطلاق ، فانت تتعاملين مع امرأة صغيرة ماهرة جداً ، وصديقاتها المتوفيان جعلها أكثر مهارة مما يمكن أن تفعله الطبيعة . إن فنورا الآن لديها حاششك منه . وسوف تستغل ذلك جيداً حتى النهاية .

- أجل ، يا آنسة ، لكن ماذا ستكون النهاية ؟

- « أن أخبرها مهماً عن كل شيء - وعني سيقولان على أنني أسوأ . . . »

ويبدو أن السيدة جروز تخيلت الطفلين وهما يخبران معها . . . وانعكس هذا المشهد على تعبيرها : « لكن هو له رأي ممتاز فيه ، يا آنسة » .

— فلورا تريد التخلص منى ، بطبيعة الحال .

لوفافتنى : بل انها لا تريد حتى ان تنظر اليك ثانية !

سألتها : « هل ذلك محضرت لتقولي له لى ؟ — وائنه  
يختم على أن أرحل منى الفور ؟ » . وقبل أن تتمكن  
من الاجابة اكملت : « ان لدى فكرة افضل . فكرت فيها  
اثناء الليل . يوم الأحد الماضى فكرت انه قد يكون من  
الافضل بالنسبة لى أن أرحس . . . وكنت على وشك أن افعل  
ذلك . . . لكن ذلك لن يفيد لى شيء انه انت الذى يجب أن  
تذهبى . يجب أن تأخذى فلورا » .

تعبرت الامر وسألت : لكن الى أين . . . .

— بعيدا عن هنا . بعيدا عنهما . بعيدا . . . ويخض  
النظر عن مواقفى . تأخديها مباشرة الى حمها .

— لكنها سوف تخبره فقط بـ . . . .

— دعيني افعل . يجب أن تتركينى هنا مع علاجى

نظرت الى لى ربيبه : « وما هو علاجك ؟ »

— ولاؤك لى . . . ذلك اول شيء . . وعمايلز بعد ذلك .

— ألا تظنين انه لمن ينقلب عليك اذا اتيمعت له  
المفرصة ؟

— نعم . حازلت أفكر فى ذلك . على اى الأحوال ، انا  
أريد أن اهاول . . اذهبى مع أختك بأسرع مايمكن ،  
واتركينى معه وحدى !

ظلت مترددة لكنها لم تقل أى شيء يعارض فكرتى .  
وأصليت كلامى : « بالحب ، لابد أن يرى كل منهم  
الآخر ولو مجرد لحظات قبل أن تذهب » .

عندئذ انشعب سبب تردد السيدة جروز لأن السليلين  
كانا قد تكلمتا مع بعضهما بعد أن هادت فلورا من البحيرة ،  
وبالتالى فإن ما عرضته لم يكن له فائدة ترجى . . . .  
بصوت قلق : « هل تعنين أن الطفلين قد تقابلا بالفعل ؟ »

أحمر وجهها مرة ثانية : « اه ، يا آنسة ، فانا لست  
على هذه الدرجة من الحماسة . فعندما كان يختم على أن  
اتركها لمدة ثلاث أو أربع دقائق ، كنت اطلب من احدى

الخامسات أن تبقى معها . حاليا هي في الغرفة وحدها  
ولكنني أغلقت الباب . أنا أفكر في . . .

— أجل ، في ماذا ؟

— . . في مايلز . هل أنت متأكدة أن كل شيء سيكون  
على مايرام ؟

— أنا لست متأكدة بخصوص أي شيء فيما هناك  
أنت . لكنني أصبحت أكثر تفاؤلا منذ مساء أمس . لأنني  
أعتقد أنه كان يريد أن يقول لي شيئا . فقد جلس معي  
مدة ساعتين مساء أمس أمام مدقاة حبيسة الدراسة ،  
وساعتها كنت أعتقد أنه سيتكلم .

تطلعت السيدة جروز هير النافذة الى ضوء النهار  
الرمادي ثم قالت : « لكنه لم يقل أي شيء » .

— « كلا . لم يقل . رغم أنني انتظسرت وانتظرت .  
لكنني لم أستطع الانتظار أكثر من ذلك . ينبغي أن أتيح  
له فرصة أكثر قبل أن أسمح لعمه أن يراه . . خاصة إذا  
أخذت فلورا الى شارع هارلي » .

وظلت غير مستطيمة أن تتلق معي تماما فسالقتني :

— ما الذي تقصدينه بفرصة أكثر ؟

— في خلال يوم أو يومين . أعتقد أنه سيكون على  
استعداد للكلام معي . . . وعدتد سيكون في صفي . وذلك  
شيء مهم جدا ، اليس كذلك ؟ وإذا لم يحدث شيء . . .  
فبالطبع سأفشل . وأنت لن تقدمي معي فعل أي شيء  
خطأ ، بل سوف تصاعدينني بأن تفعلي الأفضل ما تستطيعين  
في لندن .

ولم تستطع السيدة جروز أن تقرر ، وكان على أن  
أوجه اليها سؤال آخر : « قولي لي ، ألا تودين حقيقة أن  
تذهبي ؟ »

أصبحت ملامحها عن الرضا في الحال ، ومست الى  
يديها وقالت :

— سأذهب . . سأذهب سأذهب هذا الصباح !

— « إذا كنت تودين البقاء قليلا ، فلانا أعدك بالأتراني  
فلورا » .



وانفجرت في فيض من الدموع !

.. كلا ، كلا !

ونظرت الى يمينين حثنتين وواصلت كلامها : « فكرته  
هي الفكرة لصائبية » وبالنسبة لي ، يا آنسة .. »

.. ماذا ؟

.. لا أستطيع البقاء !

رماقتي بنظرة مضيفة حتى انني فكرت تورا في مخرج  
جديد ..

.. هل تعنين انك قد رايتها فعلا أمس ؟ ..

هزت رأسها : « كلا ، لكني سمعت ... »

.. ما الذي سمعته ؟

.. سمعت أشياء مرعبة جدا ، يا آنسة .. من تلك  
الطفلة ! وبشرني هي تقول أشياء ...

لكن السيدة جروز ، لم ترغب ، أو لم تستطع ان تقول  
لي ما قالتها فلورا .. جلست غارقة في أحد المقاعد وانفجرت  
في فيض من الدموع ..



استظرت لبضعة دقائق ثم سألتها بهدوء : « هل كانت تتكلم عني ؟ »

تطلعت الي على وهي تجعجج دموعها ، « نعم يانسة ، كيف عرفت ؟ علم أكن سأقول لك » قالت كلاما أمموا من أى شيء سمعته من قبل « لا أتصور أن فلورا تستطيع قول ذلك » « ولا أتهيل أين تعلمت كل ذلك » «

— هل تقصدين أنها قالت عسى كلاما قبيحا ؟

ثم قلت بصوت عال : « أنا أعرف من علمها ذلك »

— ومن المحتمل أن أعرف أنا كذلك حقيقة ، يانسة . لأنني سمعت شيئا منه من قبل ! لكنني لا أستطيع تحميله . واستدارت السيدة المسكينة تنصرف ونظرت الى ساعتى الموجودة على المنضدة : « يجب أن أعود إليها الآن » ،

— لكن اذا كنت لم تستطعي تحمل ذلك ، فكيف يمكنك البقاء معها ؟

— لكن أبعدها من هذا المكان فقط يانسة ، بعيدا عن هذا المكان .. بعيدا عنهما .. !

٢٠٠

— أجل ، أجل : فمن المحتمل أن تكون فلورا مختلفة عن هايكنز \* ربما ماثوال حرة الإرادة !

وأحتويتها بنوع من المرح : « إذن فبالرغم مما حدث أمس \* فانت تصدين أن ... »

لم تكن بي حاجة الى أن أكمل الجملة . فقد نطق تعبير وجهها قبل أن تقولها : « نعم ، أصدق » !

كنت في منتهى السعادة لسماع تلك الكلمات . وكان يكفيني ما تحمله هذه الكلمات من صدق . ولم أكن لأهتم بحدوث أى شيء آخر . واذا كانت صدقتي على استعداد لأن تقسم على صدقي ، فقد كنت عسى استعداد لأقسم لكل الياقين . لكن وقد قررت الآن أن تذهب الى لندن ، فقد كان هناك شيء واحد يقلقني بعض الشيء \* .

قالت : « لقد تذكرت شيئا توا ، لأبد أن رسالتى قد وصلت الى عمهما ، قبل أن تصلى أنت الى شارع هارلي . وصوف يعرف أن هناك شيئا ما قد حدث » .

٢٠١

كنت على يقين بأن لديها المزيد مما لم تقله لى ، وقد جعلها ذلك فى الحقيقة تبدو مرهقة جدا فقالت : « ببساطة إن خطابك لن يصل الى هناك ، فهو لم يرسل على الاطلاق ! »

— ماذا حدث له إذن ؟

— لا أعرف ، لكن مايلز ...

فقلت بصوت عال : « هل تعين أنه أخذه ؟ »

ترددت ثم جمعت شتات نفسها واكملت : « ... عندما عدت مع فلورا ، أمس ، لم يكن الخطاب موجودا على منضدة الصالة حيث تركته . وفى وقت متأخر من المساء سألت المرسال إذا كان قد أخذ الخطاب الى مكتب البريد ، لكنه قال انه لم يكن يوجد خطاب على المنضدة عندما غادر البيت . وهكذا ترين ، يا آنسة ... »

— أجل ... نهجت — لو أن مايلز أخذه ، فلا بد أن يكون قد قرأه وحرقه الآن .

— لكن ألا تدركين شيئا آخر يا آنسة ؟

تطلعت اليها للنظرة باهتسامة حريية : « يدهشنى أن عينيك الآن مفتوحتان أكثر من عينى . »

— فعلا ، فاما الآن أعرف ماقد فعله فى المدرسة .

وهزت رأسها بحزن : « لقد سرق ! »

فكرت فى ذلك : « ربما يكون قد فعل ، لكن ... »

— لكن ماذا ؟ أقصد أنه مرق خطيات .

لم تكن تعرف بالطبع مبرراتى لشك فى أن مايلز قد أصبح لصا حقيقيا وقلت : « أمل إذن أن يكون قد تعلم المزيد من خطابات الناس الآخرين أكثر مما تعلمه من خطابى ! فما ذكرته لى كان مقتصبا جدا ، لقد قلت فقط . اننى أريد أن أقابله . لو أن مايلز أخذ ابخطاب فعلا ، فانا اعتقد أنه يشعر بالسجل التام لأنه فعل شيئا لم يكسب منه الكثير . وذلك هو السبب الذى جعله يبلى معى طويلا مساء أمس ! فقد كان يريد أن يعترف . »

وبدا لي كل شيء واضحا الى النهاية . فقلت وأنا اقف عند باب الحجرة استعملها في الانصراف : « هيا ، هيا » وسوف يقول لي مايلز : سوف يعترف كلية . لو اعترف وسوف ينقذ نفسه ، واذا انقذ ... »

— مستفدين أنت كذلك . اعتقد أن ذلك ماتقصدي به . عند ذلك قبلتني وأمسكت بيدي . وقالت وهي تمضي الى الخارج : « سوف أبذلك مدونه ! » ...

## — ٢٢ —

عندما هببت الى ادور الأرضي ، قالوا لي ان السيدة جروز وفلورا قد عاصرتا طبييت في المعربة . ولم اشمع أبدا بانتي حائلة على هذا النحو ، منذ اليوم الذي جئت فيه الى « بلاي » .

لقد افتقدت مديسرة البيت بشكل فظيع ونجاة . وأصبحت وحيدة وجها لوجه ، فقلت لنفسي ، فلأدع نفسي ملاقدار مهما يكن مايسفر عنه . ولعدة مرات طوال اليوم انتابني احساس بانني كنت في منتهى القباء حتى اترك السيدة جروز ترحل ، حاجة وكما تبين لي الآن ، ماكنت أراه من النظرات المائلة على وجهه الضم فقد كانوا يتساءلون بطبيعة الحال عن سبب ماحدث . ولم يكن في سقراطتنا تقديم مبرر مقنع لرحيل مديرة المنزل والسفلة

هكذا ولجأة • لكن سرعان ما تيقنت انه يتحتم على الا  
اسمح للخدم بازعاجي ، وأن أفضل شيء لاثبات ذلك ، ان  
اشغلوهم على الفور في شئون البيت •

وهكذا أصبحت في ذلك اليوم حاسمة جدا مع كل  
فرد في البيت • أخذت اتجول في انحاء البيت لمدة ساعة  
أو ساعتين ، لأرى اذا كنت على استعداد لمقابلة أي نوع  
من المشاكل •

لم أرى هابلز على الإطلاق ، لكن لايد أنه قد أصبح  
من الواضح تماما لكل من البيت أن هناك تغييرا في العلاقة  
بيننا • وكان أول يوم من أيام الأسبوع منذ عدة شهور  
تبس فيه حجرة الدراسة متسقة تماما ••

كان قد اختفى تماما عندما هبطت السلم ، وعلمت انه  
قد تناول الفطار مع السيدة جروز وأخته في المطبخ •  
وأخبر الخدم حينئذ أنه سيخرج للشمس • واعتقد أن  
عبارته « أخرج للشمس » قد عبرت عن تغير العلاقة بيننا  
بشكل أفضل من أي شيء آخر •

ولم أستطع أن أعرف ما اذا كانت العلاقة بيننا  
متصبح مرة أخرى علاقة تلميذ ومربية أم لا ، وكان ذلك  
بشكل ما أحد أسباب راحتي فعلى الأقل أستطيع الآن  
أن اتوقف عن الادعاء بأنني لا احثل باليسرة اليه أكثر من  
أني حدرسة له فقط • ولقد كان مدركا لذلك وواعيا له •  
حتى أنني لم أشعر بأي حرج كبير لمجرد تقديم حميقاتي  
الحرفية • لكن قدراته الذهنية كانت دقيقة أكبر من قدراتي  
والأمر على هذا النحو يعد حمالة عنق أن أمضى في  
التفكير في نفس كمدرسة له • حسن ، لقد حصل على  
حريته الآن ، ونحن أ تدخل في حياته مرة ثانية ••

على أي الأحوال فقد كنت مشغولة جدا بالمشكلة  
الرئيسية حتى اقلق نفسي بمشكلة تعليمه ، وثأكدت أن  
الصعوبة في هذه المشكلة تكمن في اللحظة التي يعود فيها  
هاينز للنيت • فبرغم ما حدث أمس ، وبرغم كل ما حدث في  
الأيام الأخيرة ، ظل الصبي على نفس الحال • ظل  
سلوكه هادئا كالعادة ، ومازال جماله الطفولي موجودا  
ولم يبد عليه أي نوع من المعاناة على الإطلاق •

فروت وأخبرت الخدم بأننى سوف أتناول طعام الغداء مع مايلز بحجرة الطعام ٠٠ تلك الحجرة التى رأيت ليهما كويت للمرة الثانية مساء يوم أحد منذ فترة طويلة ٠ انتظرت مايلز هناك ، وبينما كنت أنتظره أخذت الفكر فى أحسن طريقة للتعامل معه ٠ وتفتح ذهنى على شيء ، لو أبنى كنت أريد أن أحفظ توازنى ، لينبغى على أن أطرد الحقيقة من ذهنى ، الحقيقة التى تتلخص فى أن كل تلك الأمور ضد الطبيعة ٠ وباستطاعتى أن أتمسك بها وأتعامل مع هذه الأشياء المزعجة وكأنها أشياء غير عادية وغير مبهجة - مجرد أشياء متعبة سرعان ما تزول ٠ ولابد أن أتعلم عليها ويصبح كل شيء على مايرام مرة ثانية !

حضر مايلز الى حجرة الطعام ، وقف ويداه فى جيوبه ٠ كان الطعام على المائدة ، والخدم قد عابوا الى المطبخ ٠ نظر الصبى الى الطعام وكأنه على وشك أن يبدى تعليقاً مضحكاً عليه ٠ لكن بدلاً من ذلك قال :

= هل هى مريضة جداً حقيقة ؟

- فلورا ٠ كلا ، ليست مريضة جداً ٠ سرعان

حاستحسن صحتها فى لندن ٠ فمر « بلاى » لا يتعل معها ٠ اجلس وتناول طعامك !

استجاب على الفور ثم واصل كلامه : « لكن هن جو « بلاى » أصبح لا يتوافق معها هكذا فجأة » ؟

- ليس هكذا فجأة كما نعتقد لقد كانت حالتها تسوء منذ فترة !

= أليس لماذا لم ترسوها من قبل ؟

= قبل جداً ؟

= قبل أن تصبح مريضة الى هذا الحد ولا تقوى على السفر ٠

- لكنها ليست مريضة الى الحد الذى يمنعها من السفر ٠ من المحتمل أنها كانت تصبح كدهم و بقيت هنا ٠ كان ذلك هو الوقت المناسب تماماً لسفرها ٠٠ وقد تكون الرحلة بمثابة نوع من التغيير فى حياة أليها ٠

= فهمت ٠ فهمت !

جلس ليتناول طعامه بسلوكه المتميز بأداب المائدة ،  
الذي انضم به منذ عودته من المدرسة • حتى أنني توصلت  
إلى أنه مهما كان سبب عسره من المدرسة ، فمن يكون  
بسبب أسلوبه الرديء في تناول الطعام • لكنه اليوم أثناء  
تناول الطعام ، كان يبدو عليه أنه يفكر بعمق أكثر مما  
يأكل • حتى أننا أكلت قليلا وسرعان ما ناديت الخدم  
ليرفعوا الطعام •

وعندما كان يجري ذلك ، وقف مايكلز ثانية ويداه في  
جيوبه وظهري لي • كان يقطع من النافذة العريضة التي  
رايت كوينت خلالها • لم نقل أى شيء حينما كانت الخادمة  
في الحجرة ، لكن عندما غادرتها استدارت إلى وقال :

« حسن ، ها نحن وحدنا ! »

- ٢٢ -

أجبت : أوه ، ليس تماما لا يبدو كذلك !

ولاحظت أن ابتسامتي ليست مشرقة تماما •

— كلا • • اعتقد ذلك فعلا فالآخرون بالطبع مازالوا  
هنا •

وافقته على كلامه : « أجل بالطبع ، فالآخرون مازالوا  
هنا • »

فقال : « لكن رغم أنهم هنا ، فإن وجودهم ليس له  
أهمية ، اليس كذلك ؟ »

— أوه ، ذلك يتوقف على ما تلصده بكلمة « أهمية »

— أجل ، أجل • • كل شيء يتوقف على شيء ما ! •

التفت ناحية النافذة مرة أخرى ثم اتجه ببطء ناحيتها وهو غارق في التفكير . ثم أخذ يصطف أنفه على زجاج النافذة ، متطلعا إلى الأشجار المجردة من أوراقها في شهر نوفمبر . التفتلت قطعة من شغل الابرّة كنت أعمل فيها ، واتجهت صوب كرسي مسريح . كانت تلك هي إحدى اللحظات التي وصفتها من قبل . . . سيكون غريب . . . وصمت . . . وكنت على يقين تماما بأن كوينت أو الأنسة جيزيل أو كليهما موجودان في الصخرة معنا . . .

لكن الوضع كان مختلفا هذه المرة . . . فعندما نظرت إلى ظهر انصبي ، صرأت على ذهني فكرة وبالجساح . . . وأصبحت واضحة جدا خلال لحظات . . . وعرفت أن هناك شيئا غريبا في الصخرة ، لكن مايلز لا يعرفه ! فقد أدققت فترة طويلة لم يرى فيها كوينت .

ويبدو أن إطار النافذة المريضة أصبح عن قلبه . فشعرت لما أنه عاجز عن الرؤية ، أو أنه في موكب المتعادل ، وأعطاني هذا الاحساس دفعة من الأمل . فقد كنت على يقين أنه كان يتطلع عبر الزجاج إلى شيء لم

يستطع أن يراه ، وأن هذه هي أول مرة يعرف فيها مثل هذا القتل . أدنى به ذلك إلى أن يكون مضطربا ، على ما اعتقد ، رغم أنه نجح في السيطرة على نفسه . وعندما استدار أخيرا قال ببساطة : « حسن ، أعتقد أنني سعيد لأن « بلای » يتوافق معي » .

— هذا شيء طيب . . . لقد رأيت الكثير منه في ساعات القليلة الماضية ، أكثر مما أتيت لك في الأوقات المسابقة . أتمنى أن تكون مستمتعا بنفسك !

— أوه ، نعم ، فقد تحولت في اتجاه المكان كله ، سرت آميالا واميالا . . . ولم أكن يمثل هذه الحرية !

وكان في استمعية يتصرف بشكل رائع وكل ما استطعته أن أسأله .

— وهل تحب المكان هنا ؟

وقد صارت مبتسما ثم قال كنمقين : « واهت ، كذلك ؟ » وحمل هاتين الكلمتين من المعاني أكثر مما كنت أستطيع أن أتحمّله . . . وقبل أن أستطيع الاجابة . . . وأصل كلامه :

« كرم منك أن تبقي هنا ، بالطبع ، رغم أنه قد لا يبدو لطيفاً بالنسبة لك » ، وإذا كنا « أصبحنا وحداً هنا ، فسوف نقضين معظم الوقت وحداً » أرجو ألا يضايقه ذلك ! »

سأله : « يضايقني أن أكون معك ؟ » ياطمئني العزيز ، أنا أستمع بذلك ! ذلك هو السبب في بلأني هنا » .

نظر الى مباشرة ، وكان تعبير وجهه في تلك اللحظة جاداً ، أجمل تعبير رأيته علي وجهه من قبل . وقال : « هل بقيت هنا من أجل ذلك فقط ؟ »

« بالتأكيد » أنا باقية هنا بمثابة صديق لك ولأنني مهتمة بك ، وسأبقى حتى يتم ترتيب شيء ما بخصوص مستقبلك ولن يدمشك ذلك . ألا تذكر أنني قلت لك ، عندما حضرت إليك وجلست معي سريرك ليبة محبوب العاصفة ، أنني أريد فقط أن أسألك ؟ »

« أجل ، أجل ! » .

واكتشف أنه من الصعب أن يتكلم بهوء ، لذا فقد تظهر بأننا نمزح . « لكن ذلك ، علي ما أعتقد كان لكي تقمعي بأن العمل شيئاً من أجلك ! »

فاعترفت : « فعلاً كان ذلك يتضمن أن تفعل شيئاً ، لكنه لم تفعله » .

قال : « أذكر الآن - لقد أردت مني أن أقول ليك شيئاً » .

« هذا صحيح » كنت أريد منك أن تجربني بشيء ما كان يتمك » .

« .. » ومازيت تريدني أن تعرفي ؟ هل ذلك ما جعلك تبقي هنا ؟ »

كان يتكلم بمرح ، لكنني أحسست يقينا بأن هناك نفمة استسلام في صوته . فسرني ذلك أكثر مما أتصور . فاجبت : « نعم أنا أعترف بذلك » ذلك ما جعلني أبقى هنا » .

ظل صامتاً فترة طويلة ، فاعتقدت أنه كان سيقول بأن ليس هناك شيء يتمه ، أو أنه ليست لديه النية لكي يقول لي أي شيء .

لكنه قال أخيراً : « هل تعنين لأن .. هنا ؟ »



— لن يكون هناك مكان ولا زمان الفضل من ذلك .

تطلع حوله ، كما لو أن هناك شيئا يربكه ، ثم انتابني احساس غريب أنه كذلك بالفعل ، لأنه كان خائفا لأول مرة ربما كان خائفا مني ، وبالتالي فإن هذا يكون أفضل الواع المخوف . وتساءلت عما إذا كان ينبغي أن اتحدث اليه بقسوة . لكنني لم استطع فعل ذلك ، حتى ولو كنت أرغب في فعله . وفي اللحظة التالية قلت بركة : « انت تريد أن تخرج ثانية ، اليس كذلك ؟ »

— كم أود ذلك !

ابتسم بشجاعة والنقط قبعتة . وقف هناك يلقى طرف لبعته بيده بطريقة جعلتني اشعر بالخجل . فلقد أحسست حقيقة بالخجل مما كنت أفعله . رغم أنني كنت أعرف أن كل تصرفاتي كانت تعجبه . لقد كنت أحاول انقاذه ، ولا أستطيع أن أفعل ذلك إلا بأن أجعله يدرك فكرة الاثم والشر . كنت أقوم بفعل ذلك الى طفل صغير لاجل له ولا قوة ، أصبح بالنسبة لي بشكل من الاشكال

صديقا ورفيقا رائعا . ولك أن تتصور مدى عاشعوت به من خجل .

قال هايلن : « ساحبرك بكل شيء ، أعني سأقول لك كل ما ترغيبينه . سوف تبقيين هنا معي ، وسنكون معي مايرام وسأقول لك : سوف أقول لك . لكن ليس الآن ؟ »

وبدا في عيني ، وربما في عيني أنا أيضا ، علامات الألم والحزن التي كانت قادمة . كان من الواضح تماما أنه يخشى على بقدر خشيته عليه !

سألقه : « ولماذا ليس الآن ؟ »

اتجه ناحية لقاعدة ثانية ، وكان كلانا صامتين . لكن بعد مضي لحظة عاد الى بسرعة . وبدأ كما لو أن هناك شخصا مهما بالحارج شخصما لايسطيع أن يجعله ينتظر وقال لي : « ينبغي أن أخرج الآن » .

— متخرج الآن ، وسوف انتظر ما قد وعدت به . لكن في مقابل ذلك ، وقبل أن تخرج ، هناك شيء صغير أود أن أهرله .

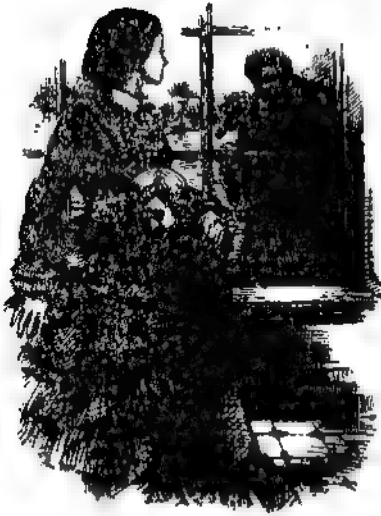
لريد ثم قال : « شيء صغير جدا » .

— نعم ، شيء صغير جدا فقط من المسألة كلها  
تقول لي ، إذا كنت قد أخذت خطابي من فوق منطادة  
الصالة بعد ظهر أمس ؟

— ٢٦ —

لمدة دقيقة لم أستطع معرفة رد فعل تساؤلي هذا . لقد  
حدث شيء بدد انتباهي بشكل كبير . فقد قفزت من فوق  
مقعدى ، وبمركة أو حركتين عفويتين أمصكت بمائلز  
وأحتضنته وجعلت ظهره تجاه النافذة وتلفت حولي طلبا  
للمساعدة . فلقد عاد شبح كويتت للظهور في هيئة حارس  
موق البرج . وكان الشيء الذى رأيته بعد ذلك أنه قد  
وصل الى النافذة . وقف بالقرب من الزجاج ، يتطلع من  
خلاله بوجهه انشيطانى الشاحب اللئيم .

لا أستطيع وصف مشاعرى . كل ما أستطيع قوله  
هو أنني توصلت الى قرار سريع جدا وأن أقوم بتنفيذه .  
وهكذا وأنا أقف أمام تلك الروح الشريرة وجها لوجه ،  
توصلت الى أن مايلز لايلبى له أن يراه . كان الأسمر



احتويته أكثر بين ذراعى ..

أشبهه بقتال مع الشيطان من أجل روح إنسانية ، وعندما  
تطلعت الى الروح الانسانية التى بين يدى ، رأيت يضع  
فطرات من النعيق على وجه الطفل الصغير . ثم سمعت  
صوت الصبى . لم يكن خفيسا ولا واهنا ، إنما كان يأتى  
من أغوار سميقة ، وكانت الكلمات التى سمعتها فى منتهى  
الحلاوة .

— أجل .. لقد أخذته .

تفتحت الصعداء وبرأحة ومرح . احتويته أكثر بين  
ذراعى متى أحسيت بضربات قلبه . كانت عينى  
ما تزالان مشتتين على ذلك الشيء الموجود خارج النافذة  
ورأيت يتحرك الى اتجاه حديد . قلت أن كوينت يبدو فى  
هيئة حارس ، لكن حركته البطيئة جعلته يبدو وكأنه وحش  
داخل قفص . تجولت عيناه فى أركان السجرة ثم توقف  
المسيح ليراقب وينتظر . كنت على ثقة تامة فى تلك اللحظة  
بأننى ساهزمه ، ومتأكدة أن مايلز لا يعلم أن كوينت موجود  
هناك ، فواصلت كلامى : « ما السبب الذى جعلك تأخذ  
الخطاب ؟ »

— لأعرف ماقدته عنى .

— اذن فقد فتحت الخطاب .

— نعم . ففتحته ا

أبعدته قليلا عنى ، حتى أستطيع رؤية وجهه . كان تعبير وجهه يدل على تلاشى كل ما كان يتظاهر به .

كان مضطربا . لكن الشيء الغريب فى الأمر كنه هو تأثير اعترافه ، الذى قطع الصلة بينه وبين كوينت ، ولم يعد يستطيع الاتصال مع ذلك الشيء الشرير . كان يعرف من ذلك ، أن هناك شيئا غريبا متواجدا ، لكنه لم يكن يعرف ماهو . ويبدو أنه لم يكن لديه أى فكرة على الإطلاق أننى أيضا كنت على وهى بوجود ذلك الشيء الغريب وأننى قد عرفت . تطلعت ثانية ناحية النافذة — وقد لا يبدو ذلك مهما — ولم أجد أحدا هناك . كان الجو صافيا ، واختلسى كوينت . أحسست بأننى قد تفلتت عليه ولابد أن أحقق نصرا كاملا . فخطرت الى مايلز ثانية .

— ولم تجد أى شيء ؟

هن وأمه يحزنن ! لاشيء .

فقلت بصوت مرتفع : لاشيء ، لاشيء .

فكرر : لاشيء ، لاشيء .

— اذن ، ماذا فعلت بانضطاب ؟

— أحرقته ا

— أحرقته ؟ هل ذلك ماكنت تفعله فى المدرسة ؟

قال : فى المدرسة ؟

— هل ذلك هو السبب فى طردك من المدرسة ؟

لأنك كنت تأخذ الخطايا أو أشياء أخرى ؟

شعرت بأن وجهى يحمر وتساءلت عما إذا كان من انفرابة فى شيء أن أوجه مثل هذا السؤال الى انسان مهذب — أو لأرى الاثر الذى يحدثه له . شعر بالخزى .

— هل كنت تعرفين اننى طردت من المدرسة ؟

— أجل . أعرف كل شيء هناك ا

نظر الى باندهاش شديد لفترة طويلة : « كل شيء ».

- كل شيء . لذا فهل ...

- كلا . اننا لم نسرق !

ولاشك ان وجهي قد انبأ باننى اصدق له . لكن بعد  
مضى عدة اشهر من التحرر ، لم أستطع مقاومة نفسى من  
ان اسأله :

« اذن ما الذى فعلته ؟ »

تطلع حوالىه فى كل ارجاء الخرفة وتنفس بصعوبة  
مرتين أو ثلاثة كما لو أنه يعاني الماء : « حسن ، كنت انقل  
كلما » .

- ذلك فقط ؟

- اعتقدوا ان لى ذلك الكفاية !

- « الانك تنقل كلأما فقط لم يسمحوا لك بالعودة الى  
المدرسة . لا يبدو ذلك سببا معقولا تستحق عليه هذا  
العقاب القاسى . مثل الطرد » .

٢٢٤

بدا لاحيلة له على الاطلاق ولم يحاول تبرير ذلك .

- اعتقد ، انه لم يكن ينبغي على ان أقول مثل هذه  
الاشياء !

- الى من كنت تنقل الكلام ؟

حاول ان يتذكر لكنه لم يستطع : « لا اعرف ! »

وأصبح مستسلما تماما خلال يأسه فابتسم لى . ولو  
اننى كنت أكثر حكمة ، لوجب على ان اتوقف عن سؤاله .  
لكن يبدو ان انتصارى على كوينت ، قد اعمانى - فواصلت :

« هل كنت تنقل الكلام الى أى شخص ؟ »

- كلا ، كان فقط لـ ...

من رأسه ثانية وقال « لا اذكر أسماءهم »

- هل كانوا كثيرين ؟

- « كلا . بل قلة . اولئك الذين كنت احبهم »

كان يقول بعض اشياء لعدة اولاد كان يحبهم ! ولهذا  
لم يسمح له بالعودة الى المدرسة ! وغدت المشكلة اصعب

٢٢٥

بدلاً من أن تكون سهلة • شعرت بالأسف الشديد له •  
وتساءلت خلال ذلك عما إذا كان حقيقة قد ارتكب أى شيء  
خاطيء • أزعجتني الفكرة • واكتشفت فجأة أنه إذا لم يكن  
مذنبا، فلأننا التي ساكنون مذنباً! وإصابتنى الفكرة بالوهن •  
وتركته ليذهب •• ابتعدت عنى ناحية النافذة • ولم يكن هناك  
ما أحسنى عليه منه •

سألكه : • وهل كان هؤلاء الأولاد يرددون ما كنت تقول  
لهم • ؟

ابتعدت عنى قليلا • وتطلع حوالىه فى أرجاء الغرفة  
بقلبي وهو مازال يتنفس بصعوبة • لكنه أجاب على سؤالى :  
• أوه • أجل • لابد أنهم ردوا ما كنت أقوله لهم • رددوه  
الى الأولاد الذين كانوا يحبونهم •

• واكتشف المدرسون ذلك •• على ما اعتقد ؟ !

• نعم • ولكنى لم اعتقد أنهم سيخبروا أحدا !

• لم يفعلوا • لم يخبرونى بأى شيء على الإطلاق •  
وهذا هو السبب فى اننى أصابك •

واللقت الى بوجهه الصغير المنفلد : • أجل • لقد  
كانوا فى منتهى السوء •• فى منتهى السوء حتى  
يكتبوا الى البيت •

• لقد كان سماع مثل هذه الكلمات من شخص ما لا يمكن  
تصديقها • فقلت : • هذا كلام فارغ • أنا لا أصيق ذلك •  
ومن المحتمل أننى بدوت غاضبة عندما أضقت : • ما هذه  
الأشياء التى كنت تقولها ؟ •

كان غضبى كله منصبا على المسؤولين فى المدرسة  
الذين حاكموه وأدانوه • وجعلته ذلك يتجه ثانية ناحية  
النافذة • وجعلتنى هذه الحركة أقفز ثانية تجاهه وأحتويه  
بين ذراعى وأنا أصرخ • فلقد ظهر شبح كويكب المرحب  
مرة ثانية خارج النافذة • وكان يضبط بوجهه الأبيض  
الشاحب القاسى على الزجاج حتى أتوقف عن سؤال  
الصبى وموقف اعترافاته •

كنت أمسك مايلز بشيء من القوة • ويبدو أنه تبين  
الحقيقة ؟ وفجأة أحسست يقيناً بأن ذلك وهم •• وأن

النافذة مارألت أمام ناظرية خالية من أى شىء . وهكذا  
كان انصاري على كوينت كاملا ، وأن مايلز قد أنقذ !  
احتضنته بشدة وصرخت فى الزاقر : « كفى ، كفى ، كفى »  
واتجهت عينا الصبى صوب اتجاه كلماتى وسألتنى  
وهو يلهث : « هل هى هنا ؟ » .

فأجبت باندعاش : « هى ؟ »

**فصاح بغضب مفاجىء :** « الأنسة جيزيل - الأنسة  
جيزيل ! »

أصابتنى دهشة . واعتقدت أن أفكاره قد ارتبطت  
برحيل فلورا ، وجعلنى ذلك أود أن أبين له أن الحقيقة  
كانت أفضل من ذلك ، « انها ليست الأنسة جيزيل ! لكن  
الموجود خارج النافذة » . أعاننا مباشرة .. ذلك المخلوق  
الجهان ! وهو هناك لآخر مرة ! «

حول رأسه . مثل كلب يتنهم رائحة ما . وبدا يتطلع  
الى النافذة بنوع من الشراسة . لكن عينا أن يعثر على  
شىء . فلم يستطع أن يرى شيئا ، رغم أن الروح الثميرة

كانت تملأ أرجاء الصجرة ، وكانت بالنسبة لى مثل مذاق  
السم .

**وقال وهو يلهث ثانية :** « اليس هو ذاك ؟ »

**فسأله :** « ماذا تقصد » بهو ؟ »

- بيتر كوينت .. أنت أيها الشيطان !

وأخذ يتطلع ثانية فى أرجاء الغرفة : « أين أنت ؟ »

مازال صوته يرن فى اذنى ، عندما قال اسمه ، وإن  
أنسى ذلك أبدا .

**قلت :** « لاتخشى شيئا الآن يامايلز ، لن يسبب لك أى  
شىء أبدا ! .. لقد أنقذتك ، أما هو ... »

والفتت ناحية الوحش الموجود خارج النافذة « ...  
فقد اختلفك الى الأبد ! » . وعندما أجبت على سؤال الصبى  
الأخير ، أشرت بأصبعى ناحية وجهه الشيطانى الشاحب .  
« هاهو ، هناك ! »

وكان مايلز قد استدار بالفعل ، وأخذ يتطلع ويتطلع  
ولم يرى سوى ضوء مابعد ظهيرة يوم من أيام نوفمبر .  
وأزاء انتقاده لرؤية أى شيء ، والذي كنت مخورة به  
جدا ، انطلقت منه صرخة عالية طويلة ، كما لو أن أحدا  
دفعه من فوق حافة عالية . أمسكت به ثانية واحتفظت به ،  
لكن بعد مضي دقيقة بدأت أدرك ماكان بين ذراعي . كنا  
وحيدا في ذلك اليوم ، وقلبه الصغير الذي تحرر أخيرا ،  
قد توقف عن الدق !!

مع تحيات Mma75Online  
MmaWorld@Hotmail.com